الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 20أوث 1955 سكيكدة

كلية :الآداب و اللغات

قسم:اللغة و الأدب العربي

"بلاغة الحجاج في مناظرة أبي الأسود الدؤلي و طليقته"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالبين:

✓ فريد كعرار

✓ مروة رحايل

إشراف :د:عبد السلام جغدير

✓ لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د/ سمير سوالمية	أ.محاضر(أ)	جامعة سكيكدة	رئيسا
د/عبد السلام جغدير	أ.محاضر	جامعة سكيكدة	مشرفا و مقررا
أ.د/عصام ابراهيم بوناب	أ. مساعد(أ)	جامعة سكيكدة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2022-2023

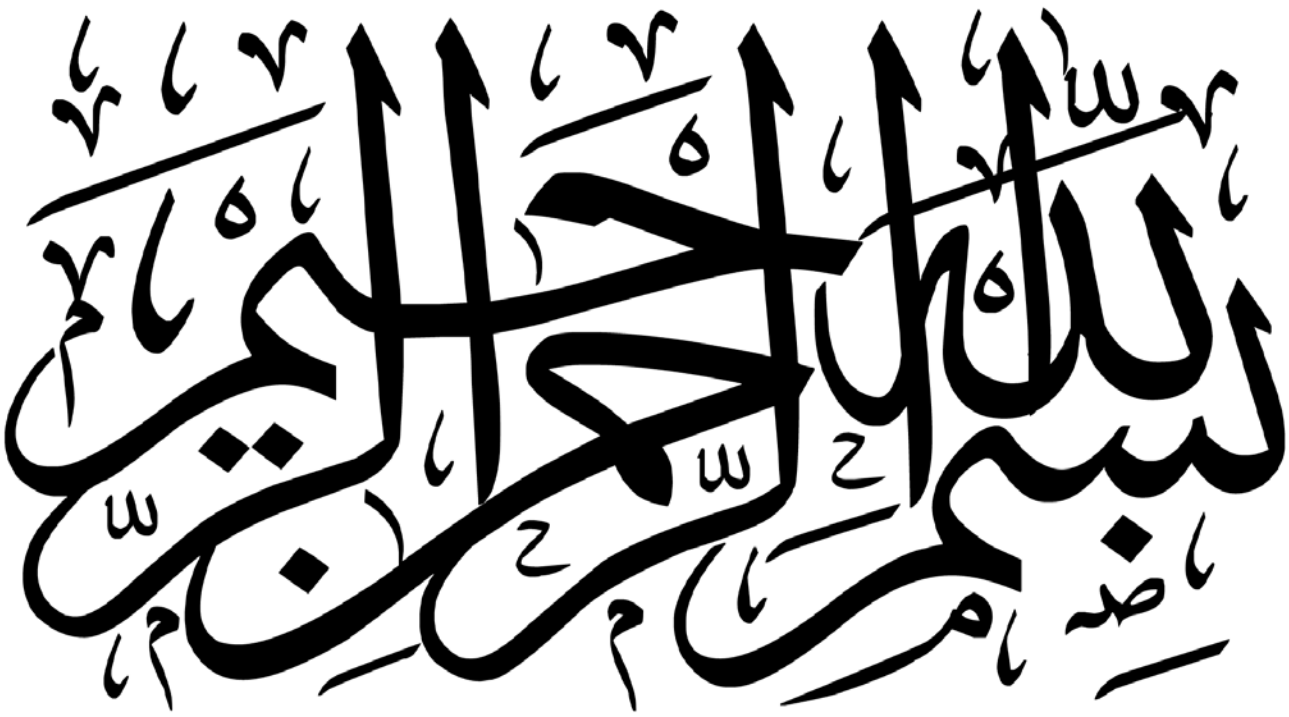
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بسم الله و الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله و على آله و صحبه ومن والاه

الحمد لله الذي وفقني لإتمام باكورة أعمالي و أعانني على إنجاز هذه المذكرة التي أهديها إلى:

✓ إلى التي رحلت باكرا فتركت في قلبي غصة لا تزول إلى آخر العمر... و الشمعة التي يحرق قلبي غيابها عن أجمل لحظات حياتي ...والدتي رحمة الله عليها.

✓ إلى الجبل الذي حماني في كل مراحل حياتي و كان سندي الذي لم ينكسر و أمدني بالقوة عندما تسلل الضعف إلى قلبي في بعض مراحل عمري...والدي رحمة الله عليه .

✓ إلى عائلتي الكريمة التي شاركتني الألم و الأمل النجاح و الفشل زوجتي، و إلى أبنائي يحي و حمزة و الصغيرة مريم ومحمد أويس الذي أبى إلا أن يكون مشاركا لنا.

✓ إلى كل إخوتي الذين لا مثيل لهم و كل أبناء إخوتي .

إلى أصدقاء المواقف لا السنين، شركاء الدرب الطويل و الطموح البعيد و أخص بالذكر أستاذي محمد بورية و الخلوق أحمد و شريف و سمير و الزميلة نجية.

✓ إلى كل محبي العلم و المعرفة .

✓ للجميع هذا الجهد.

تشكرات

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده

الحمد لله الذي وفقنا في مشوارنا الدراسي

و عليه أتقدم بأسمى عبارات الشكر و الثناء لكل الذين منهم تعلمنا أبجديات القراءة

و الكتابة

إلى الأستاذ المشرف الدكتور عبد السلام جغدير

إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية و آدابها و كل إطاراتها و عمالها

إلى كل من ساهم و ساعد و شارك و لو بكلمة

أقول جزاكم الله خير

فريد كعرار

اهداء

الحمد لله و كفى و الصلاة و السلام على النبي المصطفى و أهله ومن وفى أما بعد:

الحمد لله الذي وفقنا للوصول إلى هذه المكانة في مسيرتنا الدراسية فمذكرتنا هذه ثمرة

الجهد و النجاح بفضله تعالى مهداة إلى

الوالدين الكريمين حفظهما الله تعالى و أدامهما نورا لدربي

لكل العائلة الكريمة التي ساندتني من إخوة و أخوات

إلى رفيقات المشوار و رفيقات العمل رعاهم اله و وفقهم

إلى من كان له تأثير في حياتي و ساندني في مشواري

إلى كل من أحبهم قلبي ...

شكرا لكم جزيل الشكر

مقدمة

مقدمة:

إن التأثير في المتلقي أو إقناعه بفكرة ما أو الدفع به إلى تبني وجهة نظر معينة هو غاية الحجاج فالخطاب كلغة ومعنى هدفه واحد، هو الإقناع و الإذعان، يرتكز في ذلك على مبدأ التدرج في سرد الحجج مراعيا في ذلك مستوى تفكير المتلقي، وعليه كان الخطاب الحجاجي قديما وحديثا، مكتوبا أو شفهيا، الفتيل الأساسي في تبليغ الأفكار وتحقيق المرامي فنجده يحتوي على كل وسائل الإقناع والإثارة والحوار .

إن الغاية من دراستنا لمثل هذا الموضوع هو الاطّلاع نظرية الحجاج في الأدب العالمي عموما و الأدب العربي خصوصا و لنا في كتاب "بلاغات النساء" لـ ."ابن طيفور" و هو من النفائس التي حوت بلاغة الحجاج لاسيما النساء منه، وهو مؤلّف جمع درر من بلاغات النساء النثرية التي تنم عن سرعة بديهة وذكاء حاد، وصدع بالحق دون تردد أو خوف، وهو ما يثّبت فيها الفصاحة والبيان، وفي هذا المضمار نحاول تبيان الأساليب اللغوية والبلاغية والعاطفية التي استعملتها النساء العربيات في حجاجهن و في طرائفهن وأجوبتهن وردودّهن، لنقف على أغراض هذا الحجاج و قد أخذنا كلام امرأة أبي الأسود الدؤلي كنموذج للدراسة .

و قد حاولنا في هذه الدراسة الإجابة على إشكالية تمثلت في:

ما هي الآليات و الاستراتيجيات الحجاجية المتبعة في هذه المناظرة ؟ و قد اندرجت تحت هذه الإشكالية تساؤلات عديدة منها:

ما هي أنواع الحجاج ؟ إلى أي مدى كانت هذه الآليات مجدية في إقناع المستمعين و المتلقين و استمالتهم؟ و ما مدى قدرة النثر الحجاجية ؟ .

و مع وفرة الأبحاث و الدراسات في أدبنا العربي القديم لم نتوفر على دراسة مستقلة أخذت على عاتقها مهمة البحث و الغوص في مثل هذا النوع من الدراسات التي تبحث في الأساليب و تكشف العوامل و الروابط الحجاجية داخل هذا البناء اللغوي .

هذا الكلام لا ينفي وجود عديد الأبحاث التي ضمت في جوانبها بعض الإشارات إلى مثل هذه المواضيع، حيث تناولها العديد من الباحثين و النقاد، إلا أنهم تناولوا الكتاب في مجمله دون إفراد كلام امرأة بعينها بالدراسة و البحث المعمّق .

و في هذا السياق نورد على سبيل الذّكر لا الحصر بعض الأعمال التي تناولت أطرافا من موضوع البحث مثل:

- بلاغة المجادلة قراءة في بلاغات النساء السردية للدكتور حسن النعمي، جامعة الملك عبد العزيز- جدة.

- كتاب "بلاغات النساء " لابن طيفور دراسة نقدية و هو عبارة عن مذكرة لنيل شهادة الماجستير.

و قد كان اعتمادنا الأكبر في هذا البحث على مصنف "بلاغات النساء و طرائف كلامهن و ملح نوادرهن و أشعارهن في الجاهلية و صدر الإسلام كما استعنا بمصادر و مراجع أخرى كانت لنا معينا في هذا المنجز منها :

اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي لطه عبد الرحمن وكذا كتاب آليات تشكيل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان و نظرية البرهان لهاجر مدقن و البيان و التبيين للجاحظ و مفتاح العلوم للسكّاكي و مصنف أسرار البلاغة للجرجاني و غيرها من الأعمال.

و أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فقد كانت لدينا أسباب و دوافع حركتنا و دفعتنا لدراسة هذا الموضوع و الخوض فيه منها: قلة تطرق طلبة الأدب العربي لهذا الموضوع و إفراده ببحث خاص.

معرفة القدرة البلاغية و الأدبية النثرية للمرأة في ذلك العصر و مقارنتها بمقدرة الرجل و بحث القدرات الإبداعية على مستوى الأفكار و مستوى التراكيب و الأساليب و الخوض في دلالات الخطاب الحجاجي .

معرفة واقع المرأة العربية التاريخي و الاجتماعي و الإطلاع على الموروث العربي و لما لا الاستلهام منه.

و قد جاء بحثنا هذا موزعا إلى مقدمة و مدخل نظري و ثلاثة فصول و خاتمة، عالجنا في المدخل النظري مفهوم الحجاج و أنواعه و السلم الحجاجي و قوانينه و الاستلزام الحواري و مبادئه، أما الفصل الأول فتعرضنا فيه لأهم العوامل و الروابط الحجاجية الواردة في المناظرة، و أما الفصل الثاني فعالجنا فيه الحجاج البلاغي حيث تطرقنا لجانبي البديع و البيان، أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان الحجاج العاطفي تطرقنا فيه لدور الأساليب اللغوية في توجيه و استمالة و إقناع المستمعين ثم انهينا بحثنا بخاتمة تبرز أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

و إن كان من الضروري الإشارة إلى الصعوبات التي اعترضتنا فيمكن إجمالها فيما يلي:

قلة الدراسات التي تتخصص في موضوع البحث وإن وجدت فهي تتناول الكتاب بطريقة شمولية دون إفراد قصة امرأة بعينها .

جدة الموضوع فالدراسة تتناول العوامل و الروابط الحجاجية وكذا الأساليب المستعملة في الحجاج.

كثرة المصادر و المراجع خاصة في الجانب اللغوي من العمل سواء القديم منها أو الحديث.

من بين الصعوبات التي اعترضتنا هو تداخل موضوع الحجاج مع اللسانيات و ورود بعض المصطلحات الفلسفية و عدم وجود دراسة جامعة مانعة للفصل بين العوامل و الروابط الحجاجية .

ضيق الوقت نظرا للارتباطات المهنية و العائلية.

بعد مصادر المعلومات خاصة المكتبات العامة و الكبيرة .

و بعد فهذه الصورة النهائية للدراسة، و نرجو أن تكون قاربت النجاح و التوفيق و السداد ، فإن تك فما توفيقنا إلا بالله، و إلا فحسبنا أننا لم ندّخر جهدا في سبيل إتمامها و إخراجها في أحسن حلة .

و في الختام أقدّم جزيل شكري و جميل عرفاني إلى الأستاذ المشرف الدكتور **عبد السلام جغدير** الذي ذلّل لنا الصعاب، و أماط لنا ما تلبس علينا من مبهمات و قاسمنا فيه كل المشقات، كما لا يفوتني أيضا أن أثني على لجنة المناقشة الموقرة على تفضلهم بقراءة بحثنا و تخصيص جزءا من وقتهم الثمين لذلك و الشكر موصول أيضا لكل أساتذتنا الكرام بجامعة 20 أوث 1955 بسكيكدة .

مدخل

المدخل

- توطئة

- مفهوم الحجاج لغة و اصطلاحا

- أنواع الحجاج

- مفهوم السلم الحجاجي و قوانينه

- مفهوم الاستلزام الحواري و قواعده و مبادئه

توطئة:

يعد الحجاج من أهم المواضيع التي أفرزتها الدراسات اللغوية الحديثة في الحقل اللساني، باعتباره مجموعة من التقنيات والآليات الخطابية التي توجه إلى المتلقي بغرض إقناعه والتأثير فيه، وعليه فالحجاج هو " جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الإقناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع"[1].

ولقد تعددت زوايا النظر إلى الحجاج بحسب الدارسين له؛ فالبلاغة التقليدية نظرت إليه" كمكون من مكونات الخطاب ويتشكل بتشكله وتتغير وظائفه وطرقه الاستدلالية بتغيره"[2].

كما تتجلى آثاره في الدراسات التراثية المختلفة وتتعدد بتعدد مجالاتها، غير أنه أصبح من الدراسات الحديثة و له مجاله الخاص، تضبطه ماهية ومفاهيم خاصة وآليات متعددة أهلته إلى بلوغ مرتبة النظرية اللغوية القائمة على أسس علمية دقيقة.

لقد انبرى رعيل من اللغويين في القرن العشرين لدراسة الحجاج والاهتمام به ومحاولة التنظير له، وقد تناولوا ضمن هذا المسعى الأساليب الإجرائية في لغة الحجاج، وتنوع الخطابات ضمن السياقات المقامية المختلفة وغاياتها واستراتيجياتها، والتي تعد من صميم البحث في المنهج التداولي اللساني، وقد أطلقوا على الدراسات الحجاجية الحديثة مصطلح البلاغة الجديدة، ويرجع الفضل في ذلك إلى بيرلمانperleman و زميله تيتكاه Tytecaعند إصدارهما لمؤلفهما مصنف في الحجاج -البلاغة الجديدة- traite de l’argumentation nouvelle rhétorique سنة 1958 والذي يشمل عنوانين "مصنف في الحجاج" ويحمل إلى عنوانه الكبير عنوانا فرعيا هو "البلاغة الجديدة".

---

[1]- *سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته و أساليبه ص 21، عن مصنف في الحجاج البلاغة الجديدة بيرلمان و تيتكاه، المطابع الجامعية بليون*، ج1،1981..ص13.

[2]- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005، ص 14 .

فالحجاج آلية تجسد الخطاب الإقناعي، وتكمن أهميته فيما يتأكد من إقناع لدى المتلقي عن طريق اللغة مما يؤكد "أن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وأن الوظيفة الحجاجية للغة هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية"[1] و ذلك ما يفسر أن مجال الحجاج هو حقل اللغة.

[1]-مجلة المناهل، وزارة الثقافة و الاتصال المغربية، العدد62،63، ماي 201، ص142، 143.

1- مفهوم الحجاج لغة و اصطلاحا:

أ- لغة:

لمفهوم الحجاج أهمية بالغة ومن ذلك أنه ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع عدة نذكر من بينها قوله عز و جل في محكم تتريله (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**)[1].

وقد ورد المفهوم اللغوي للحجاج في أكثر من معجم، لعل من أبرزها معجم لسان العرب في مادة (ح ج ج) على النحو الآتي: "من حاج و حاججته أحاجه حجاجا و محاجة حتى حاججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها و حاجه محاجة حجاجا نازعه الحجة... و الحجة البرهان و قيل الحجة ما دوفع به الخصم، و قال الأزهري الحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل محجاج أي جدل"[2].

و بهذا يكون الحجاج عند ابن منظور مرادفا للجدل أي مقابلة الحجة بالحجة.

و قد ورد في المعجم الوسيط بأن الحجاج " الحجة، الدليل و البرهان؛ و يقال حاجه فحجه و غلبه بالحجة و المحجاج الذي يكثر الجدل"[3].

من خلال المعنى اللغوي لكلمة حجاج نلاحظ أنها تحمل دلالة البرهان و الدليل كما تحمل في مضمونها معاني التخاصم و التراع و الجدل و الغلبة؛ أي مقابلة الحجة بالحجة فتكون الغلبة لأحد الطرفين.

وبالرجوع إلى الأصول اللاتينية للمصطلح نجد أن كلمة(Argument) من الفعل اللاتيني (Arguer) و تعني جعل الشيء واضحا و لامعا و ظاهرا و هي من جذر إغريقي (Argues) و يعني أبيضا لامعا"[4].

---

[1]- سورة البقرة، الآية 258.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 2003، ص 257.

[3]- إبراهيم أنيس،عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الأحمد و آخرون، المعجم الوسيط، ج1، ط2،دت. ص 156، 157.

[4] - عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة البنيوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص 10.

نلاحظ أن هذا المعنى لمصطلح الحجاج "واضحا و لامعا و ظاهرا" مقاربا لمعنى الحجاج في الثقافة العربية كون الحجج تستخدم للتوضيح و الإقناع و إزالة الغموض وإظهار الحقيقة.

ب . –اصطلاحا :

يدور مفهوم الحجاج في فلك العديد من التعريفات المختلفة، فقد ورد مرادفا للجدل و قد ربطه البعض بالخطابة وهناك من درسه بناء على تقسيمه إلى ضمني و صريح و ربطه بنظرية المساءلة و فيما يلي لمحة عن أهم هذه التعريفات:

لقد تناول الكثير من علماء العرب القدامى و المحدثين مصطلح الحجاج كلا حسب توجهه و لعل من أبرزهم الجاحظ(ت .255ه) حيث عرفه في كتابه البيان و التبيين بقوله:"أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة و ذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة و لا الملوك بكلام السوقة"[1].

كما تطرق إليه السّكّاكي(ت .626ه) الذي يقول: "علما منا بأن من أتقن أصلا واحدا من علم البيان كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة وقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب به، أطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل"[2].

وقد تناوله الزّركشي(ت .794ه) فيعرفه بقوله:" و هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه"[3].

[1]– الجاحظ، البيان و التبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط2، 2003، ص 74.

[2]– السكّاكي،مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط1، 1988، ص438.

[3]–الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المكتبة المصرية، بيروت، ج3، د ط، د ت، ص 486.

كما تطرق إليه ابن خلدون في مقدمته قائلا بأنه: "معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية و غيرهم"[1].

يتضح لنا من خلال تعريفات علماء العرب القدامى أن الحجاج مرتبط بالجدل و الإقناع و المناظرة،أما بالنسبة للعرب المحدثين فقد تناولوا الحجاج من جوانب متعددة إذ مزجوا بين القديم العربي و الحديث الغربي ومن أهم الدارسين المحدثين طه عبد الرحمن الذي تطرق إلى مفهوم الحجاج في كتابه " أصول الحوار وتجديد علم الكلام إذ يعتبره كل منطوق موجه للغير لإفهامه فيقول فيه : " إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه و دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها "[2].

و يرى أبو بكر العزّاوي أنه لأخذ فكرة عن الحجاج و مفهومه ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة أو الاستدلال و أن "الحجاج هو تقديم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة و هو يتمثل في إنتاج تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب"[3].

نلاحظ أن أبو بكر العزّاوي قد نظر إلى مفهوم الحجاج نظرة لغوية على أنه إنتاج تسلسلات داخل خطاب ما، أما عن مفهوم الحجاج عند الغرب"فيعد كتاب "الخطابة" لأرسطو من أقدم الكتب التي اهتمت بالإقناع وأدواته وقد تناوله من زاويتين هما الزاوية البلاغية وذلك بربطه بالجوانب المتعلقة بالإقناع، ومن زاوية جدلية باعتباره عملية تفكير تتم في بنية حوارية تنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج تحدد قيمة هذه الأقوال الحجاجية "[4].

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، 2005، ص 14.

[2]–طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، 2000، ص224.

[3] - أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع ط1، 2006، ص 14.

[4]-المرجع نفسه، ص 14

ومن أهم المحدثين الغربيين الذين تطرقوا لمفهوم الحجاج نجد "بيرلمان وتيتكاه"في كتابهما " مصنف في الحجاج-البلاغة الجديدة-وقد ركزا فيه على قضاياه وأنواعه وجاء بيرلمان بما يسمى ب" المدرسة البلاغية البرهانية التي شكلت المرحلة الأخيرة أو المنظور البلاغي في كل الثورة اللسانية الحديثة، وقد عرف بيرلمان الحجاج بقوله "هو جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرض عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع،[1]وبهذا نلاحظ أن بيرلمان قد ركز على المتلقي ومدى تأثره جراء هذه الحجج .

2- أنواع الحجاج:

لقد اختلف الباحثون في تحديد أنواع الحجاج ومرد ذلك الاختلاف إلى تباين وجهات نظرهم ومذاهبهم الفكرية فهناك تقسيم يقوم على النظر في العملية الحجاجية وعناصرها، وهذا مانجده عند طه عبد الرحمان في كتابه " اللسان والميزان أو التكوثر العقلي " الذي وضع ثلاثة نماذج للحجاج هي : النموذج الوصلي والنموذج الايصالي والنموذج الاتصالي .

أ :النموذج الوصلي للحجة :

تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة وصل، إذ يعامل الحجة معاملة البناء الاستدلالي المستقل الذي تكون عناصره موصولة وصلا تاما[2].

فهذا النموذج أو هذا الحجاج يركز اهتمامه على إيصال الخطاب إلى المتلقي وطرق إقناعه دون الاهتمام بالأطراف الأخرى، وبذلك يكون الحجاج مجرد بنية دالة من خصائص هذا النموذج؛ محو الوظائف الخطابية، إظهار المعاني المضمرة[3].

[1] -سامية دريدي ، الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه ص 21 ، نقلا عن بيرلمان وتيتكاه، مصنف في الحجاج ، البلاغة الجديدة ص 13.

[2] -طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط، 1998، ص 255.

[3] -المرجع نفسه، ص 255 .

ب . :النموذج الإيصالي للحجة:

تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة إيصال لأنه يجعل الحجة فعلا استدلاليا يتوجه به المتكلم إلى المستمع [1].

ويكون الحجاج هنا مركزا على المتكلم ودوره في العملية الحجاجية، ويهتم بمقاصده وما يوفره من طرق إقناعية فيكون الحجاج بذلك بنية دلالية موجهة حيث يرتكز على القصدية من جهة ارتباطها باللغة ومن جهة تكونها من طبقات قصدية متفاوتة مستندا في ذلك إلى نظرية الاتصال اللغوية .

ومن خصائص هذا النموذج : عدم انفكاك القصدية عن اللغة، تراتب القصدية[2].

ج . : النموذج الاتصالي للحجة :

تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة اتصال، إذ ينظر إلى الحجة بوصفها فعلا مشتركا بين المتكلم والمستمع جامعا بين توجيه الأول وتقويم الثاني[3].

فهذا النموذج يشتغل على دور المتكلم والمستمع معا في الفعالية الخطابية حيث يركز على التفاعل الخطابي مبرزا أهمية التزاوج القصدي والوظيفي والسياقي ودور الممارسة الحية التي تبنى على الأخذ بالمعاني المجازية والقيم الأخلاقية مستندا في ذلك على نظرية الحوار وهذا مايساهم في إحياء الحجاج وجعله بنية تداولية يجتمع فيها التوجيه المقترن بالأفعال والتقويم المقترن بالأخلاق .

---

[1] –طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص 256.

[2] – المرجع نفسه، ص259.

[3] –المرجع نفسه، ص256.

وهناك تصنيف ثان قام به عبد الهادي بن ظافر الشهري في كتابه "استراتيجيات الخطاب "حيث قسم الحجاج إلى نوعين : حجاج توجيهي وحجاج تقويمي :

أ-: الحجاج التوجيهي :

"المقصود بالحجاج التوجيهي هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل علما بأن التوجيه هنا هو فعل إيصال المستدّل لحجته إلى غيره، فقد ينشغل المستدّل بأقواله من حيث إلقائه لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها،فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلاّتي في الاستدلال هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض "[1].

وعلى هذا نكون أمام حجاج يهتم بالحجاج من طرف المتكلم و كيفية توجيهه و إيصال الحجج إلى المخاطب دون الاهتمام بتلقي المخاطب لها و لرد فعله عليها، أي أن هذا النوع من الحجاج يركز على صدق فاعلية الحجاج من طرف المتكلم فقط .

ب .- :الحجاج التقويمي:

"قد يكون خطاب المرسل حجاجا على خطاب" متوقع" من مرسل إليه "متخّيل"يفترض المرسل وجوده تحسبا لأي اعتراضات قد يواجه بها خطابه، بالاستناد على معرفته به وبعناصر السياق، ومن ذلك حججه المفترضة، وهو الإقناع والحجج التي يمكن أن يعارضه بها المرسل إليه والتي يضعها في الحسبان في أثناء بناء خطابه ويمحصها عند استحضار حجج،فيفندها ويعارضها بالحجج التي يتوقعها من المرسل إليه،فلا يتمسك بها إلا إذا أدرك أنها تؤول بخطابه إلى القبول والتسليم"[2].

[1] -عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط1، 2004، ص 470.

[2] – المرجع نفسه، ص 473 .

إن هذا النوع من الحجاج يضع في حسبانه الحجج التي يمكن أن يعارضه بها المتلقي فيحاول تفنيدها بالحجج التي يتضمنها خطابه وبهذا يكون الحجاج حجاجا تقويميا أي أن المخاطب يقّوم المخاطب ويضع حججه في الحسبان وعلى ذلك التقويم يقوم بتفنيد الحجج المتوقعة من المتلقي، وبذلك يصل المخاطب إلى هدفه المنشود وهو إمتاع المتلقي .

وهناك تصنيف ثالث يقسم الحجاج إلى ثلاثة أنواع وهي:

1- الحجاج الفلسفي :

الذي يتخذ من الفلسفة بعدا من أبعاده وآلية من آلياته حيث تقاس قدرته بمعايير خارجية كالقوة أو الضعف والنجاح أو الفشل في الإقناع ويكون هدفه التأثير والتقبّل، فهذا النوع من الحجاج يعتمد أساسا على الفلسفة وإجراءاتها كوسائل تهدف إلى إقناع المتلقي و التأثير فيه[1].

2- الحجاج التداولي:

وهو حجاج يقوم على الاستعمال والتداول ويركز اهتمامه في العملية الحجاجية، فمن خلال التداول يصل إلى تحقيق أهدافه التواصلية والإقناعية إذ أن لفظ التداولية يحيلنا إحالة مباشرة إلى نظرية أفعال الكلام في الخطاب، ورصد هذه الأفعال بغرض إقناع المتلقي .

3- الحجاج البلاغي :وهو الحجاج الذي يجعل من البلاغة آلية من آلياته وذلك لاعتمادها علة التأثير و الاستمالة بواسطة الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية من أجل إقناع المتلقي فالبلاغة في هذا النوع تكون المجال الذي يستقي منه الحجاج وسائله وآلياته وذلك في سبيل إقناع المتلقي والتأثير فيه[2].

[1] -هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان ، مجلة الأثر ، الجزائر ، العدد 05، 2005 ، ص 173 .

[2] -المرجع نفسه، ص 173.

وفي الأخير يمكن القول بأن تعدد مجالات استخدام الحجاج وخصائصه أدى إلى تعدد أنواعه و أقسامه وهو ما جعل الباحثين يختلفون في تحديد أنواعه وأقسامه .

3- مفهوم السلم الحجاجي و قوانينه:

عرفه ديكروDucrot و أسكومبرJ Asscombre إذ اعتبراه: نظاما للحجج قائما على معيار التفاوت في درجات القوة، وعلى سلّمية ممكنة بين الحجة الأكثر قوة، وبين الحجة الأكثر ضعفا[1].

السلم الحجاجي في أبسط صوره هو علاقة ترتيبية للحجج، وقد عرّفه طه عبد الرحمن في كتابه "التكوثر العقلي بأنه: "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين :

أ- كل قول يقع في مرتبة من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي بدونه .

ب .- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه[2]وقد وضع طه عبد الرحمان هاته المفاهيم من خلال الرسم الآتي :

نا[زيد من أنبل الناس خلقا]

د أكرم زيد عدوه

ج أكرم زيد صديقه

ب أكرم زيد أخاه

[1]-د.محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات اللغوية و المنطقية و اللسانية، ص95.

[2]-طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي،ص 277.

فصفة الكرم هي صفة حميدة من مكارم الأخلاق وإذا قلنا "زيد من أنبل الناس خلقا " (نا) وهي النتيجة فذلك يعني أنه "أكرم عدوه" (د) وهي أقوى حجة تلزم عنها "إكرامه لصديقه " (ج) وهي حجة متوسطة تلزم عنها "أكرم زيد أخاه" (ب) وهي أضعف حجة في السلم وعليه حاول طه عبد الرحمان استنتاج قوانين مخصوصة للسلم الحجاجي .

قوانين السلم الحجاجي:

حاول الدارسون استخلاص جملة من القوانين ساهمت في ضبط السلم الحجاجي معتمدين في سردها على الصور العامة لها، وهي في مجملها ثلاثة : قانون الخفض قانون تبديل السلم (النفي) وقانون القلب .

أ– قانون الخفض :

يعتمد هذا القانون على مبدأ النقيض المتعلق بالأقوال الواردة في السلم الحجاجي ومقتضى هذا القانون أنه : "إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها "[1]، أي أن تراتبية الأقوال إذا كانت من الأسفل(الضعف)إلى القوة فإن نقيضها يكون من الأعلى (القوة) إلى الأسفل(الضعف).

ب .– قانون تبديل السلم (النفي):

يقوم هذا القانون كذلك على مبدأ النقيض ومقتضاه هو أنه: "إذا كان القول دليلا على مدلول معين فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله"[2]، معنى ذلك أن أي قول يؤدي إلى نتيجة معينة فإن نقيضه (نفيه) يؤدي نتيجة مضادة .

[1] طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص 277.

[2] -المرجع نفسه، ص 278 .

ج– قانون القلب :

يعتمد هذا القانون على القلب كمبدأ في ترتيب الحجج ومقتضى هذا القانون أنه: "إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول"[1].

معنى ذلك أن الأقوال المنفية في سلم حجاجي ماهي إلا عكس الأولى المثبتة في السلم الحجاجي الآخر، أو بعبارة أخرى "إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة ".

4- الاستلزام الحواري :

أ– مفهوم الاستلزام الحواري :

يعد الاستلزام الحواري أحد أبرز الظواهر التي تميز اللغة وهو أحد المفاهيم التداولية، ويعد الفيلسوف اللغوي (بول غرايس) أول المنظرين لهذا المفهوم في الدرس التداولي الغربي الحديث من خلال كتابه " المنطق و المحادثة "إذ لاحظ بأن:"المتخاطبين عندما يتحدثون يتبعون عددا من القواعد الضمنية اللازمة في أثناء تواصلهم"[2].

ولا يتم ذلك التواصل في حالة وقوع خلل في تلك القواعد، ولتدعيم نظريته – نظرية بول غرايس– وإثباتها وضع مبدأ أسماه "مبدأ التعاون "يقوم هذا المبدأ على تعاون المخاطبين لتحقيق الهدف من حوارهم وصيغته:

" ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه"[3].

[1] –طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثرالعقلي، ص 278.

[2] – فيليب بلانشيه، التداولية من أوسيتين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص 84.

[3] –طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 103 .

وعليه يمكن القول بأن الاستلزام الحواري عند بول غرايس يقوم على فكرة جوهرية وهي أن جمل اللغة تتضمن معنيين معنى ظاهري غير مقصود، ومعنى ضمني هو المقصود، ولتوضيح هذا الكلام نضرب هذا المثال :

المرسل : هل تمارس معنا بعض التمارين الرياضية .

المستقبل : سأذهب إلى العيادة .

نلاحظ هنا أن إجابة المستقبل جاءت مخالفة للسؤال، إذ كان من المفروض أن يجيب بـ .: سأمارس أو لا أمارس لكن الإجابة جاءت سأذهب إلى العيادة وفي هذه الحالة وجب حضور الاستلزام الحواري جملة سأذهب إلى العيادة لها معنيين، معنى ظاهري غير مقصود له وظيفة إخبارية وهي أنه سنذهب للعيادة ومعنى ضمني وهو المقصود ويتمثل في أنه لن يمارس التمارين الرياضية، ويتضح من خلال هذا السياق المعرفي بأن المستقبل عنده إصابة عضلية سابقة تمنعه من ممارسة التمارين الرياضية ويرتكز مبدأ التعاون على أربع قواعد هي :

أ- قاعدة الكم :

وتتفرع هذه القاعدة بدورها إلى مقولتين هما:

- لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته.

- لاتجعل إفادتك تتجاوز الحد المطلوب.

ب .-قاعدة الكيف :

والقصد منها منع ادعاء الكذب، وتتفرعإلى:

- لاتقل ماتعلم كذبه.

- لاتقل ماليس لك عليه بينة.

ج– قاعدة العلاقة أو الملاءمة:

وخلاصتها (ليناسب مقالك مقامك) أي أن يجعل المتكلم كلامه ذا علاقة بالموضوع.

د– قاعدة الجهة أو الطريقة:

وهي ترتبط بما يراد دخوله، وتتفرع بدورها إلى:

– لتحترز من الالتباس .

– لتحترز من الإجمال .

– لتتكلم بإيجاز.

– لترتب كلامك[1].

وبناء على ماسبق فقد اعتبر بول غرايس هذه القواعد الأربع بمثابة ضوابط لكل عملية خطابية وعلى الطرفين المتخاطبين المرسل والمستقبل الالتزام بها أثناء الحوار، وفي حالة ما إذا أخل أحد الطرفين بقاعدة من هذه القواعد "وجب على الآخر أن يصرف كلام محاوره عن ظاهره إلى معنى خفي يقتضيه المقام، وهذا المعنى المصروف إليه يحصل بطريق الاستدلال من المعنى الظاهر ومن القرائن، وذلك بالذات ما عبّر عنه بالاستلزام التخاطبي"[2] أو الحواري .

وبالرغم من الأثر الذي أحدثه مبدأ التعاون في تطوير التداولية اللغوية وتنويع الدراسات المتعلقة بموضوع التواصل الإنساني إلا أنه كان محل انتقاد من طرف العديد من الدارسين وعلى رأسهم طه عبد الرحمان الذي رأى بأن بول غرايس قد اعتنى بالجانب التبليغي في الخطاب وأهمل جوانب أخرى ذات أهمية في الخطاب كالجانب

[1] – طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص238 ، 239 .

[2] – طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 104.

التهذيبي إذ يقول:" وهو أن مبدأ التعاون والقواعد المتولدة منه لا تضبط إلا الجانب التبليغي من التخاطب، أما الجانب التهذيبي منه، فقد أسقط إسقاطا" [1]، وقد ظهرت مبادئ أخرى عند جملة من الدارسين الآخرين قامت بسد ذلك النقص الذي عرفه مبدأ التعاون لبول غرايس ومن بين تلك المبادئ نذكر :

أ- مبدأ التأدب :

ل .: روبين لاكوف صيغته " لتكن مؤدبا" يقضي هذا المبدأ بأن يلتزم المتكلم و المخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، من ضوابط التهذيب مالا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ"[2].

وقد تفرعت عن هذا المبدأ ثلاث قواعد وهي:

1- قاعدة التعفف :

ومقتضاها هو "لا تفرض نفسك على المخاطب"[3]أي وجوب عدم التدخل في شؤون الآخرين والتزام التحفظ.

2- قاعدة التشكيك :

ومقتضاها هو:لتجعل المخاطب يختار بنفسه[4]بمعنى ترك حرية الاختيار للمخاطب في اتخاذ قراراته بنفسه.

---

[1] – طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 239 .

[2] –المرجع نفسه،ص 240 .

[3] –المرجع نفسه، ص240 .

[4]– المرجع نفسه ، ص241 .

3- قاعدة التودد:

ومقتضاها : لتظهر الود للمخاطب[1] بمعنى معاملة المثل بالمثل ووجوب إظهار الود للمخاطب .

ادعت" لاكوف " أن قواعد التأدب كلية في طبيعتها وعددها بحيث تأخذ بها مختلف المجتمعات البشرية كما تأخذ بها مختلف المجتمعات اللغوية داخل المجتمع الواحد، وعليه فإن ظهر اختلال في مبدأ التأدب بين هذه الجماعات فمرد ذلك إلى عدم احترام ترتيب هذه القواعد وذلك بتقديم أو تأخير قاعدة على أخرى .

ب .- مبدأ التواجه : ل .: براون ولفنصن وهو مبدأ تداولي ورد عند هاذين الباحثين في عملهما المشترك " الكليات في الاستعمال اللغوي: ظاهرة التأدب" ومقتضاه : (لتصن وجه غيرك) ويقوم هذا المبدأ على مفهومين أساسين هما: مفهوم الوجه ومفهوم التهديد .

3- مبدأ التأدب الأقصى: ل .: "جوفري ليتش" وقد ورد هذا المبدأ في كتابه" مبادئ التداوليات" والذي يعد مكملا لمبدأ التعاون وقد صاغه في صورتين، صورة سلبية مقتضاها: قلل من الكلام غير المؤدب وصورة إيجابية فحواها أكثر من الكلام المؤدب .

4- مبدأ التصديق: ل ."طه عبد الرحمان" حيث قام بمراجعة المبادئ السابقة وكشف عن بعض النقائص واقترح مبدأ يسد هذه النقائص سماه مبدأ التصديق وهو مبدأ استمده من التراث العربي الإسلامي، وفحواه: "لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك"[2]وخلاصة هذا المبدأ أنه ينبني على عنصرين اثنين: أحدهما نقل القول الذي يتعلق بالجانب التبليغي من المخاطبة، والثاني تطبيق القول الذي يتعلق بالجانب التهذيبي منها[3] وقد انبثقت عن مبدأ

[1] - ا طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،ص 241 .

[2] - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، ص 94 .

[3] - المرجع نفسه، ص94 .

التصديق في جانبها التبليغي قواعد مضبوطة نجدها متصلة عند أبي الحسن الماوردي في كتابه "أدب الدنيا والدين "وهي:

- أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.

- أن يأتي به في موضعه و يتوخى به إصابة فرصته .

- أن يقتصر منه على قدر حاجته .

- أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به[1].

كما تفرعت أيضا على هذا المبدأ في جانبه التهذيبي مجموعة قواعد استقراها طه عبد الرحمان من التراث العربي الإسلامي وأجملها في ثلاث وهي:

- قاعدة القصد:

لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير.

- قاعدة الصدق:

لتكن صادقا فيما تنقله إلى غيرك .

- قاعدةالإخلاص:

لتكن في تودك للغير متجردا عن أغراضك[2].

[1]- أبو الحسن الماروردي ، أدب الدنيا و الدين، شرح وتعليق محمد كريم راجع ، دار اقرأ بيروت ، ط4 1985 ، ص 283.

[2]-طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص. 250

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أن التخاطب عبارة عن بنية تفاعلية يقوم على خمسة مبادئ هي: مبدأ التعاون، مبدأ التأدب، مبدأ التواجه، مبدأ الأقصى، مبدأ التصديق وهذه البنية التفاعلية (التخاطب) تقوم على ضربين من المبادئ هما مبادئ تواصلية وأخرى تفاعلية .

الفصل الأول

الفصل الأول:

العوامل و الروابط الحجاجية

- لا...إلا
- ما...إلا
- إذ
- إن
- الواو
- حتى
- لولا...لا
- الفاء
- لا
- اللام

العوامل والروابط الحجاجية :

تقوم العملية الحجاجية على جملة من العوامل والروابط الحجاجية، وهو ما يفرض علينا إفرادها بالبيان والتوضيح في مدونتنا الموسومة بـــ "الخطاب الحجاجي في مناظرة أبي الأسود الدؤلي وطليقته " فلغتنا العربية – شأنها شأن اللغات الأخرى- تشتمل على عدد كبير من هاته العوامل والروابط نذكر من بينها "لكن، الواو، الفاء، في نفس الوقت، في، بعد، إلى أن، خاصة ... .

وقد اختلف اللغويون والمفكرون حول مدلول العامل والرابط ومن بين هؤلاء اللغويين نجد "ديكرو" الذي ميز بينهما بالرغم من كونهما يحققان وظيفة ترابطية وحجاجية، فقد أدرج مفهوم الرابط والعامل الحجاجي لأول مرة في مقاله المعنون بـــ(Note sur L'argumentation et l'acte d'argumenter)

المنشور سنة 1982، ثم فصل فيه القول بعد ذلك في مقاله المنشور سنة 1983 والذي يحمل عنوان (Operateurs argumentatifs et vise argumentative)

محاولا وضع حدود لهما من خلال وظيفة كل منهما داخل البناء اللغوي للخطاب، فالنوع الأول يربط بين الأقوال مثل الحروف كالفاء، والواو، ولكن و إذن ....الخ ويسميه روابط حجاجية وأما النوع الثاني هو مايكون داخل الخطاب من عناصر وتراكيب مثل النفي، الاستدراك، الحصر، منذ، تقريبا، على الأقل ...الخ، ويسميه عوامل حجاجية.

"فالعامل هو الذي يقوم بالربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي فيبقى هذا الفعل ملتحما، أما الرابط فهو الذي يربط بين فعلين لغويين اثنين، فهو موصل تداولي معناه أنه يكفل هذه المكونات ليجعل منها أفعالا لغوية"[1].

[1] – الراضي رشيد ، الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وانسكومبر، مجلة عالم الفكر العدد 1، سبتمبر2005، ص 234.

وبناء على ما سبق يتضح لنا أن هذه الروابط والعوامل الحجاجية تعمل على ربط وتوجيه الخطاب داخل النص وتحمل على الإقناع والإذعان لما لها من قدرة حجاجية في التأثير في غيرها من عناصر الخطاب، وسنتطرق إلى العوامل والروابط الحجاجية بشيء من التفصيل والتوضيح والتي وردت في كلام امرأة أبي الأسود الدؤلي أمام الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ومن هذه العوامل و الروابط نجد: حروف الجر و حروف التعليل و حروف الربط و الاستثناء و التوكيد إلى جانب أدوات أخرى كـــ حتى و لا و غيرهما و هو ما سنراه من خلال النماذج الآتية:

– لا ...إلا :

ومثال ذلك: "وكان لاينطق إلا بعقل ولايتكلم إلا بعد فهم [1]"، والعامل الحجاجي (لا...إلا) مثل أسلوب القصر، يعمل على حصر وترتيب الحجج لتحقيق النتيجة المرجوة وهي تبيان مكانة أبي الأسود واستحقاقه لمنزلته تلك عند الخليفة و ذلك من خلال رجاحة العقل و حسن الفهم على التوالي.

إن فائدة العامل الحجاجي في هذا المثال جاءت لتؤكد بأن أبا الأسود الدؤلي لم يكن من عامة الناس وإنما كان يحظى بمكانة رفيعة لدى الخليفة معاوية بن أبي سفيان كونه من علماء اللغة العربية والنحو و لما ذكر فيه من صفات آنفا.

– ما...إلا:

و تأتي للإثبات و هو ما يزيد في قيمة الإثبات بالتخصيص؛ أي أنه يخصص صفة معينة لموصوف معين وهذا العامل يعتبر من طرق القصر في اللغة العربية وهو قصر بالنفي و الاستثناء وهو أربع طرق :

–قصر بإنما و قصر بالنفي و الاستثناء (لا...إلا) (ما...إلا) و قصر بالعطف بالأدوات (لا، بل، لكن)و قصر بتقديم ما حقه التأخير.

[1]– ابن طيفور، بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة مدينة والدة عباس الأول، القاهرة، ص47.

ومثال ذلك في المناظرة: "يا أمير المؤمنين ما علمته إلا سؤلا جهولا"[1].

- **إذ** :

ومثال ذلك " فبينما هو ذات يوم جالسا وعنده وجوه قريش و أشراف العرب **إذ** أقبلت امرأة أبي الأسود الدؤلي حتى حاذت معاوية "[2].

يفيد الرابط (**إذ**) في هذه العبارة الفجاءة، " أن تكون للمفاجأة ولا تكون للمفاجأة إلا بعد" بينا"و" بينما[3]".

و معنى ذلك أن **إذ** تكون مسبوقة بإحدى اللفظتين (ومن معانيها أيضا أن تأتي ظرفية وتعليلية) بين أو بينما.

من خلال المثال نلمح ورود طليقة أبي الأسود الدؤلي على مجلس الخليفة معاوية على حين غرة، فحاذته في مجلسه وبدأت في الكلام .

وتبين لنا أيضا بأن الرابط " إذ " كان فعالا في الخطاب إذ عمل على إحداث عامل الفجأة في ذهن السامع.

- **إن:**

---

[1]-ابن طيفور، بلاغات النساء ، ص 47.

[2]-المصدر نفسه، ص 47.

[3]-الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوه ومحمد نذير فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، ط1 ص 158.

نجد الرابط (**إن**) الذي يفيد التوكيد والإثبات، فيكون بذلك أداة فعالة في الحجاج من خلال مايفرضه من توكيد وإثبات للقضايا والكلام أو الحجج فيكون بذلك أقدر على الإقناع، فيؤثر في نفسية المتلقي، ومثال ذلك :

ـ " إن الله جعلك خليفة في البلاد"[1].

ـ و "إن خير النساء ذات البعول "[2].

وقد أثبتت طليقة أبي الأسود الدؤلي من خلال المثال الأول أن الله جعل معاوية خليفة في البلاد وجعله قاضيا على العباد فيلجأ إليه الخائف ويستصرخ به المستصرخ .

و أكّد أبو الأسود الدؤلي في المثال الثاني على أن خير النساء ذوات البعول أي ذات الأزواج وليست ذوات الحسن والجمال أو ذوات المنصب والجاه، و منه نلاحظ أن زوجة أبي الأسود الدؤلي حاولت إثبات أحقية الخليفة لمنصبه و إقناع المتلقي بهذا الأمر، كما أن أبا الأسود الدؤلي حاول تأكيد وجهة نظره و المتمثلة في أن النساء اللاتي لا بعل لهن لا خير فيهن بل الخير في النساء المتزوجات اللاتي وقرن في بيوتهن و لا تراهن عند أبواب القضاة وقوفا.

ـالواو:

إذا كانت "**أن**" كرابط حجاجي للتوكيد والإثبات فإن الرابط الحجاجي " **الواو** " تستعمل للجمع بين الحجج و تقوّيتها، و هي تدعم الحجج المتتابعة " و مذهب جمهور النحويين أنها للجمع المطلق".[3]

[1]– ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 47 .

[2] –المصدر نفسه، ص 49

[3]– الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 158.

وقد كان لها دور كبير في عملية ربط الوحدات الكلامية، والجمل اللغوية في المناظرة، وهو ما سهّل في عملية سرد الحجج التي عدّدتها طليقة أبي الأسود الدؤلي عند الخليفة بغرض استمالته وجلب انتباهه لغاية واحدة وهي إقناعه و إقناع جميع المستمعين بحججها ومن أمثلة ذلك نجد :

- " ورقيبا على العباد يستسّقي بك المطر، ويستثّبت بك الشجر وتؤلّف بك الأهواء ويأمن بك الخائف ويردع بك الجانف "[1].

فطليقة أبي الأسود تعدّد مجموعة من المحاسن والمآثر التي يتصف بها الخليفة حسب زعمها، فقالت أنه يستسقي بك المطر و تؤلف بك القلوب و الأهواء ويستجير بك الخائف وغيرها، فجمعت عدة حجج، و كانت هذه الحجج مبعثرة فجمعتها بواسطة "**الواو**" ثم رفعت من نسق الوصف والمدح وقالت بأنك المصطفى و الإمام المرتضى في قولها " فأنت الخليفة المصطفى و الإمام المرتضى"[2]زيادة في المدح و إعلاء للشأن حتى تقر نفسه.

-"إن قال فشر قائل و إن سكت فذو دغائل ليث حين يأمن، ثعلب حين يخاف شحيح حين يضاف إن ذكر الجود إنقمع لما يعرف من قصر رشائه ولؤم آبائه ضيفه جائع وجاره ضائع لايحفظ جارا ولا يحمي ذمارا ولا يدرك ثارا أكرم الناس عليه من أهانه وأهونهم عليه من أكرمه"[3].

ومن أمثلة ذلك أيضا: "حمله خفا وحملته ثقلا ووضعه شهوة ووضعته كرها إن بطني لوعاؤه وإن ثدي لسقاؤه وإن حجري لفناؤه "[4].

وفي المثالين و غيرهما عمدت زوجة أبي الأسود السابقة إلى ربط الجمل وبنايتها باستخدام الواو فجعلت مقدمات ونتائج تشد بعضها البعض سعت من خلالها إلى إقناع المتلقي بفكرتها وعدم القدرة على رفضها .

---

[1]-ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 47.

[2]-المصدر نفسه، ص 47.

[3]-المصدر نفسه، ص 49.

[4]-المصدر نفسه، ص49

واستعانت بالواو التي تختص بالمرونة والاستمرارية و هو ما جعل الحجج أكثر فاعلية وفي نسق تصاعدي، والواو أكثر الحروف أداء لهذا الدور في إجلاء المعاني.

– حتى :

ويتمثل دورها في ترتيب منزلة العناصر[1] وقد ترد عاطفة أو جارة، أما في الحجاج فتجدها تربط بين دليلين أو تتوسطهما وتؤكد أحد الدليلين على الآخر والذي يخدم النتيجة التي يقصدها المتكلم، و قد وردت حتى في النص في : "إذ أقبلت امرأة أبي الأسود الدؤلي حتى حاذت معاوية وقالت "[2].

ومن خلال هذا المثال نلاحظ ان الرابط **حتى** عمل على إشراك الكلام الآتي بالكلام الذي سبق وجعلت تؤكد النتيجة النهائية فأضافت حجة لأخرى، فامرأة أبي الأسود لم تكتف بأن أقبلت على مجلس الخليفة بل زادت في حضورها بأن حاذت معاوية في مجلسه وهنا تبرز قوة الرابط الحجاجي **حتى** بأن زادت في تقريب الصورة وجعلت الخطاب أكثر حجية .

– لولا ...ل:

"لولا حرف امتناع لوجوب، وبعضهم يقول: لوجود، بالدال"[3].

[1]–عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، ط 1مارس 2004، بنغازي ليبيا، ص 517.

[2]–ابن طيفور، بلاغات النساء ص47.

[3]–الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص290.

وقال صاحب " رصف المباني " الصحيح أن تفسيرها بحسب الجمل التي تدخل عليها فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين فهي حرف امتناع لوجوب " وإن كانت منفيتين فهي حرف وجوب لامتناع "[1].

وجواب" **لولا**" ماض مثبت، مقرون باللام، أو منفي بـــ "ما" وقد يخلو المثبت من اللام.

وقد وردت " لولا...ل " في المناظرة في كلام امرأة أبي الأسود في قولها: " والله لولا مكان أمير المؤمنين و حضور من حضره من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك "[2]، وقد وردت لولا: كأداة ربط بين الجملتين و أوحت بالإلزام والاقتضاء مما يدفع بالسامع للقبول و الاقتناع بالكلام الذي يسمع، فهي بنيةشرطية تفيد الشرط و الإلزام، ومن خلال المثال السابق نستشف أن زوجة أبي الأسود لمّحت إلى أنه لولا مكانة أمير المؤمنين ومن كان معه من المسلمين لردت برد مفحم و شديد على كلام أبي الأسود الدؤلي، تدحض فيه كل مزاعمه وادعاءاته .

– الفاء:

وترد الفاء على ثلاثة أوجه: عاطفة، ورابطة للجواب و زائدة، مع الإشارة إلى أن وظيفتها في ربط الجواب مستمدة من خاصية العطف فيها [3].

وسنقصر الحديث هاهنا عن(الفاء) العاطفة والتي تفيد ثلاثة أمور هي :

– الترتيب، والتعقيب، و السببية.

و من الأمثلة التي نسوقها في استعمال ابن طيفور –على لسان طليقة الدؤلي–للفاء مانجده في قوله :

[1]– الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص292.

[2]–ابن طيفور بلاغات النساء ص 48.

[3]–حسن عباس، حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دط، 2000، ص 37.

1-"فلينصفني أمير المؤمنين من الخصم فإني أعوذ بعقوبته[1]".

2-"ملحا بخيلا إن قال فشر قائل وإن سكت فذو دغائل"[2].

3-"ويردع بك الجانف فأنت الخليفة المصطفى و الإمام المرتضى فأسأل الله لك النعمة"[3].

-" هو أبو الاسود الدؤلي قال فالتفت إليه فقال "[4].

-"أما ماذكرت من طلاقها فهو حق وأنا مخبر أمير المؤمنين "[5].

-"ولكن كرهت شمائلها فقطعت عني حبائلها"[6].

و نجد في هذه الأمثلة أن الفاء استخدمت لما اختصت به ولما تستعمل له وهو الربط والعطف كما تفيد الكلام في الترتيب والتعقيب والسببية، فيقنع المتلقي بالحجج، وسواء كانت الفاء حرف عطف أو كانت حرف جواب فهي تؤدي الدور الحجاجي على أحق وجه وتجمع بين علاقة الربط وعلاقة السببية والاقتضاء .

لا:

حرف يكون عاملا وغير عامل، وأصول أقسامه ثلاثة:

لا، ولا الناهية، ولا الزائدة[7].

---

[1]-ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 48.

[2]-المصدر نفسه، ص48

[3]-المصدر نفسه، ص 47.

[4]-المصدر نفسه ، ص48.

[5]-المصدر نفسه، ص48.

[6]-المصدر نفسه، ص 48.

[7]-الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص290.

وتأتي لا لتوكيد النفي[1]ونفيه، ومن الصور التي وردت فيها "لا" نجد :

-" لا ينطق إلا بعقل ولا يتكلم إلا بعد فهم"[2].

-"ولا لأي هفوة حضرت"[3].

-"ولايجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بعلا ولا أن تظهر لأحد جهلا"[4].

-" لايحفظ جارا ولا يحمي ذمارا ولا يدرك ثارا"[5].

ونلاحظ من خلال الأمثلة أن **"لا"** قامت بنفي الحكم وتوكيده وهو ما يساهم في إقناع المتلقي، ففي المثال الأول نرى أنها نفت الكلام والخطاب إلا بحضور العقل و لا يتكلم إلا بعد أن يعي الأمر جيدا ونلاحظ في المثال الثاني أن " **لا**" عملت عمل ليس ونلاحظ أن **لا** ارتبطت بجملة أخرى .

وقد جاءت **"لا"** في الجملة الأخيرة معطوفة على بعضها في ترتيبين متواليين وهذا دلالة على تأكيد النفي و الغاية من ذلك إقناع المتلقي وتدعيم الحجة بالحجة وزيادة الدليل .

_اللام:

معنى اللام في الأصل هو الاختصاص وهو معنى لايفارقها، وقد تصحبها معان أخر، وأنواع الاختصاص متعددة؛ ألا ترى أن من معانيها المشهورة التعليل.

---

[1]- الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 292.

[2]-ابن طيفوربلاغات النساء، ص 47.

[3]-المصدر نفسه، ص 47.

[4]-المصدر نفسه، ص48 .

[5]-المصدر نفسه، ص49.

قال بعضهم وهو راجع إلى معنى الاختصاص[1].

فاللام تحمل معنى التعليل فتربط الحجة بعلاقة سببية أو علية فتجعل الأسباب والنتائج مقترنة مع بعضها، وينتج عن ذلك حجج منطقية مما يحتم على المتلقي الاقتناع بالحجج والتسليم بها .

وبالعودة إلى المناظرة نجد أن ابن طيفور قد استعان بهذا الرابط كثيرا، ذلك أنه أنسب للقضايا التي طرحها والتي تحتاج إلى تعليل ومن ذلك نجد :

-"إنها كثيرة الصخب دائمة الذرب مهينة للأهل مؤذية للبعل مسيئة إلى الجار مظهرة للعار"[2].

- "لولا مكان أمير المؤمنين وحضور من حضره من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك"[3].

-"فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينتزع ابنه منها "[4].

-"إن بطني لوعاؤه وإن ثدي لسقاؤه وإن حجري لفناؤه"[5]

و إذا تمعنّا النظر في هذه الأمثلة والشواهد نجد أن ابن طيفور استخدم الرابط المناسب لهذه القضايا والمواضيع الشائكة بين أبي الأسود وطليقته، وهذه القضايا والمواضيع احتاجت إلى التعليل والتفسير فالرابط "ل" وظف لتحقيق غرضه وهو التعليل و ربط الأسباب بالنتائج .

---

[1]-الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص109.

[2]-ابن طيفور بلاغات النساء،ص 48.

[3]-المصدر نفسه، ص 48.

[4]-المصدر نفسه، ص 49.

[5]-المصدر نفسه، ص 49.

ففي المثال الأول يخبرنا الكاتب أن الزوجة كانت كثيرة الضجيج دائمة الشتم تكيل الإهانات للأهل والبعل و لم يسلم منها حتى الجيران وما علمت سرا قط، إلا أذاعته ونشرته، وهذه الصفات كلها لتعليل سبب تطليقها من زوجها.

وهو ماورد كذلك في المثالين الثاني والثالث حيث جاءت اللام لتعليل سبب سابق وأمر مضى ذكره لتعلله و تفسره وكانت في الشاهد الأخير تعليلية مع شيء من التوكيد ذلك أنها سبقت بأن التوكيد فبينت أن بطنها وعاؤه الذي يحويه وأن ثديها سقاؤه وأن حجرها هو الفناء الذي يمرح فيه .

وهكذا استطاعت إقناع الخليفة وإنزال كم كبير وهائل من الحجج لإقناعه و إقناع من حضر بصحة كلامها وهو ما أوصل الحضور إلى الاقتناع والإذعان لما يأتي به المتكلم.

ومن خلال دراستنا لهذه المناظرة لاحظنا أن المتناظرين استخدما الروابط والعوامل الحجاجية بدقة عالية وحكمة بالغة، وقد وفقا في انتقائهما لهذه العوامل والروابط، فأدت كل واحدة من هذه الأدوات دورها الذي وضعت له وهو التعبير عن مقاصد ومرامي المتكلم، وتحقيق الغاية المرجوة من الكلام وهو إقناع المتلقي، كما أحسنت ربط الكلام والألفاظ وأداء المعاني .

وجود الأدوات بقدر حاجة النص لها أفادت معنى الربط بين الجمل والقضايا، كما ساهمت في متانة نسيج الخطاب وأخرجته لنا أكثر إقناعا وتماسكا.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

الحجاج البلاغي

- المحسنات البديعية
- السجع
- الجناس
- الطباق
- المقابلة
- الصور البيانية
- الكناية
- الاستعارة
- التشبيه

الحجاج البلاغي:

وفي هذا المستوى من الحجاج سنتعرض لأهم الصور البيانية التي وظفها المتناظران– أبي الأسود الدؤلي وطليقته– في هذه المناظرة .

وكيف أن هذه الأساليب أضافت قوة حجاجية في الكلام، وقدرة إقناعية كانت السبب في اقتناع معاوية بخطاب المرأة، فالبلاغة آلية من آليات الحجاج، وهي كما عرّفها النقاد القدامى فن الإقناع فالخطاب الحجاجي يحوي في ثناياه من البلاغة ما يزيد هذا الخطاب قوة و تماسكا، مستعملين في ذلك الصور البيانية والمحسنات البديعية، ومختلف الصور الشعرية، فتؤثر في المتلقي باستمالة تفكيره ومشاعره، وتكون في قوالب تنظم الحجج وتقدمها في القالب الذي يتناسب والسياق الذي ترد فيه، و المخاطب الذي نخاطبه .

يقول الجرجاني: "الكلام على ضربين: ضرب أن تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد...وضرب آخر أنت لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية نصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر الكناية والاستعارة والتمثيل "[1].

ويقول عبد الله صولة: "تضمين الخطاب دلالات غير حرفية، تضمن له التأثير و الإقناع، وذلك عن طريق استعمال المجاز الذي يعد طريقة من طرائق إثبات المعنى وتقديمه تقديما حسنا دون أن ينتج عن عملية التعويض هذه تغير في المعنى الحقيقي "[2].

[1]–الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2001ص173.

[2]–عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت ص459ط2، 2007، ص 459.

ولقد تنوعت الصور البلاغية في المناظرة بتنوع المواضيع والقضايا المطروحة وتراوحت بين البيان والبديع وهذه الصورإلى جانب بلاغتها ودلالتها وتقّريبها للمعنى زادت في إقناع الخليفة بوجهة نظر طليقة أبي الأسود الدؤلي ومن هذه الصور نجد :

1. _ المحسنات البديعية:

البديع هو الجديد، والبديعُ والبدعُ: الشيء الذي يكون أولا[1]، وهي ناحية من نواحي البلاغة لاتتناول مباحث علم البيان، ولا تنظر في مسائل علم المعاني، ولكنها دراسة لا تتعدى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، ويسمى العلم الجامع لهذه المباحث بعلم البديع وهو يشتمل على محسنات لفظية ومعنوية ونذكر في هذه المناظرة البعض منها.

أ- السجع:

وهو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير وأفضله ماتساوت فقره[2]، وهو من المحسنات البديعية، وقد وظفه ابن طيفور في هذه المناظرة في مواضع كثيرة، بل إن هذه المدونة احتوت السجع على نطاق واسع فهي في معظمها مسجوعة الفواصل مختلفة الحروف، فمن الدال إلى الفاء إلى الراء إلى الجيم إلى اللام إلى التاء والياء والكاف وغيرها من الفواصل .

وتناغم هذه الفواصل وتتابعها في المناظرة على نغم موسيقي متسلسل تترك في القارئ أو السامع راحة وثباتا واستقرارا وهذا ما يجعل تلقيها يسيرا و الإذعان لها والركون إليها سريعا وتستسيغها الأذن وتستعذبها وهكذا يتم جلب انتباه السامع والمتلقي ومن ثم التأثير فيه وإقناعه بالحجج.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة بدع، دار الأبحاث، الجزائر، ج1،ط 2008، ص 325.

[2]- علي الجارم، مصطفى أمين البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار المعارف لندن، ط 1999ص273 .

ثم إن تنوع هذه الفواصل في المناظرة واختلافها دلالة على كثرة القضايا المطروحة والمسائل الموجودة فيها وتنوعها وعليه نجد أن طليقة الدؤلي مدركة لخاصية الخطاب الموجه إلى الخليفة ليكون وقعه في نفسه أنفع و أدعى إلى الإقناع والتسليم وتلك وظيفة السجع فهو يفيد في :

- توليد الإيقاع الموسيقي من خلال الأحرف المتكررة مما يولد نغما ويزين الكلام، ويجذب القارئ وهو قسمان مطرف وموازي .

أ- المطرف:

وهو أن يأتي المتكلم في أجزاء كلامه أو في بعضها بأسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون روي الأسجاع روي القافية [1].

ب- الموازي:

وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي[2].

ومن أمثلة السجع التي وردت في النص نجد:

1- "خليفة في البلاد ورقيبا على العباد"[3].

2- "يستسقى بك المطر، ويستثبت بك الشجر"[4].

3-" ويأمن بك الخائف، ويردع بك الجانف".

---

[1]-غريد الشيخ، المتقن في علوم البلاغة،المعاني.البيان.البديع و العروض،دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص 147.

[2]- غريد الشيخ، المتقن في علوم البلاغة، ص 147.

[3]-ابن طيفور، بلاغات النساء، ص47

[4]-المصدر نفسه، ص 47.

4- " النعمة في غير تغييروالعافية من غير تعذير"[1].

5- "ضاق علي فيه المنهج وتفاقم علي فيه المخرج"[2].

6- "لايحفظ جارا ولا يحمي ذمارا ولايدرك ثأرا"[3].

7- "إن بطني لوعاؤه وإن ثدي لسقاؤه وإن حجري لفناؤه"[4]

و الذي نلاحظه في هذه الأمثلة وغيرها هو توافقها بين فاصلتين وتساوي فقراتها وأجمل الأسجاع ماتساوت فيه الفقرات، وهذا مايسميه علماء اللغة والبلاغة بالسجع الموازي .

كما نجد بعض الأسجاع وردت في جمل طويلة ومن ذلك نجد :

1- "والله ياأمير المؤمنين ماطلقتها عن ريبة ظهرت، ولا لأي هفوة حضرت، ولكني كرهت شمائلها فقطعت عني حبائلها"[5].

2- "إنها كثيرة الصخب دائمة الذرب مهينة للأهل مؤذية للبعل مسيئة للجار مظهرة للعار إن رأت خيرا كتمته و إن رأت شرا أذاعته"[6].

3- "والله لولا مكان أمير المؤمنين وحضور من حضره من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك بنوافذ أقرع كل سهامك و إن كان لا يجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بعلا ولا أن تظهر لأحد جهلا."[7]

---

[1] -ابن طيفور، بلاغات النساء ، ص 47.

[2] - المصدر نفسه، ص 48.

[3]- المصدر نفسه، ص49.

[4]- المصدر نفسه، ص49.

[5] - المصدر نفسه، ص 48.

[6] - المصدر نفسه، ص48.

[7] - المصدر نفسه، ص48.

ونجد أيضا:

"ماعلمته إلا سؤلا جهولا مُلحا بخيلا إن قال فشر قائل و إن سكت فذو دغائل، ليث حين يأمن وثعلب حين يخاف شحيح حين يضاف إن ذكر الجود انقمع"[1].

تنوعت الفواصل في هذه الأمثلة ومن ذلك نجد: الهاء والكاف وهو مايستعمل لضمير المخاطب فيحاول جلبه و استمالته لإقناعه بالخطاب الموجه إليه، والملاحظ في هذه الأمثلة أنها غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين، غير أن روي الأسجاع هو نفسه روي القافية وهذا السجع هو مايسميه علماء اللغة بالسجع المطرف.

ولقد كانت هذه النماذج من السجع سهلة ميسورة بلا كلفة أو مشقة، وقد كانت كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة للمعنى الذي اشتملت عليه أختها، وقد كانت ألفاظه تابعة للمعنى صافية من الغشاشة فزادت في النص جمالية ورونقا.

ب- الجناس:

إذا انتقلنا إلى الجناس في هذه المدونة نجد أنه لا يختلف عن السجع ولا يقل وجوده كذلك رغم أنه يختص بالكلمة عكس السجع الذي يختص بالجملة، والجناس هو تشابه اللفظتين في الحروف مع اختلافهما في المعنى[2]وهو يمتع القارئ ويبعد عنه النفور ويساعد في تثبيت المعنى ومن ثم كان وروده في النص غزيرا حتى يقوي الحجج ويثبتها.

[1]-ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 48.

[2]-غريد الشيخ، المتقن في علوم البلاغة، المعاني، ص 149.

وقد غلب في مدونتنا الجناس الناقص، وهو مالايتفق فيه اللفظان المتجانسان اتفاقا تاما، سواء في الحروف أو في عددها أو هيئتها أو ترتيبها "[1].

والجناس الناقص يساعد في تفادي تكرار الألفاظ، وبهذا يرتكز الكلام على المعنى دون الإخلال بالجانب الجمالي والفني، والجناس يلفت انتباه المتلقي إليه من خلال تجانس ألفاظه وجرسه الموسيقي و تكرار حروفه،كما له وظائف أخرى كالترادف والتكامل والتضاد[2].

ويقول الجاحظ في هذا الباب "أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا."[3]

وصور الجناس التي وردت في مناظرة أبي الأسود وطليقته على كثرتها وغزارتها إلا أنها كانت ذات فائدة في إجلاء المعنى وتوكيده وإيصاله إلى المتلقي، ومن أمثلة الجناس في المناظرة نجد :

- "البلاد، العباد" "المطر، الشجر" "الخائف، الجانف" "المصطفى، المرتضى" "تغيير، تعذير" "المنهج، المخرج" "الوبيل، الحرائر، الاجائر" "المنكر، المشهر" "بعضا، نقضا" "ظهرت، حضرت" " شمائلها حبائلها" "عنيد، شديد" "الصخب، الذرب" كلامك، سهامك" "بعلا، جهلا"[4] .

والملفت في كل هذه الأمثلة من التجنيس هو إعادة لفظين متجانسين وذلك من خلال نقص بعض الحروف أو زيادتها أو من خلال تلك الرنة الموسيقية التي يتلقاها السامع فترسخ للوهلة الأولى في العقل فيسهل

---

[1]-راشد بن محمد بن هاشل الحسني، البنى الأسلوبية في النص الشعري، دراسة تطبيقية، دار الحكمة ط1، لندن، 2004، ص 84.

[2]-المرجع نفسه، ص84.

[3]- الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1 1988 ص 04.

[4]-ابن طيفور، المصدر نفسه، ص ص 47،48.

حفظها و يشتد وقعها، فتبلغ حينذاك مرادها الذي وضعت له و هو جلب الانتباه و التركيز على المسموع من الكلام .

كما نلاحظ أيضا خلال التركيز على الجناس الناقص اهتمام قائله بالمعنى مع اهتمامه بالتجانس وذلك بغرض الإقناع، فالجناس التام به نوع من التكرار ويذهب بالمتلقي إلى التفكير والبحث عن المقاصد وهو ما يشتت تفكيره ويصيبه بالملل و من ثم عدم الإنصات وغياب الحضور الذهني وهو ما يتناقض مع أسلوب الحجاج فالاهتمام في هذا المقام والمقال هو كيفية جلب الاهتمام والإقناع والإذعان لإقناع الآخر بوجهة النظر المراد طرحها.

ثم إن ما أضفى على هذا الجناس جمالية هو أن المعنى من استدعاه فورد دون تكلف أو تصّنع فالكلمات والعبارات المناسبة تحدث في الأذن ميلا وإصغاء، وتدفع المتلقي إلى الاستعطاف والمشاركة في الحوار.

يبلغ الجناس المعنى بوقوعه في الأذن ورسوخه في الذهن، يقول صاحب أسرار البلاغة "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه، وساقه نحوه، وحتى تجده لا تبتغ به بدلا، ولا تجد عنه حولا ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن و أولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه"[1] وعليه فالجناس هنا غلّف الكلام بإشارات دغدغت السامعين ونبهتهم وحرّكتهم فكانت أولى خطوات ربح معركة الحضانة التي من أجلها وفدت طليقة أبي الأسود.

[1] الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص07 .

ج- الطباق:

وهو التكافؤ والجمع بين نقيضين[1]، والطباق هو الجمع بين معنيين متقابلين "مضادين" في كلام واحد كالطول والقصر، والجمال، والقبح، والبياض، والسواد وهذا الطباق يسمى طباق الإيجاب، أما طباق السلب فيكون عن طريق الإثبات والنفي، أي ذكر الفعل مثبتا مرة ومنفيا مرة أخرى في كلام واحد[2]، وهو من الصور البديعية وقد كان له حضور في هذه المدونة ومن أمثلة ذلك نجد:

1- " إن رأت خيرا كتمته، و إن رأت شرا أذاعته"[3] والطباق هنا في: كتمته، أذاعته.

2- " إن قال فشر قائل، و إن سكت فذو دغائل"[4]والطباق هنا في: قال، سكت.

3- ليث حين يأمن، ثعلب حين يخاف"[5] والطباق هنا في: يأمن، يخاف .

4- "شحيح حين يضاف إن ذكر الجود انقمع"[6]والطباق هنا في قولها: شحيح والجود فالشح عكس الجود وضده.

ومن أمثلة ذلك أيضا نجد:

" أكرم الناس عليه من أهانه" فالطباق هنا في: أكرم، أهانه فالإكرام عكس الاهانة.

---

[1]-حسني عبد الجليل، البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع، دار الصحوة للنشر والتوزيع ط1،2012 ص 451.

[2]-غريد الشيخ، المتقن في علوم البلاغة، ص 130.

[3]-ابن طيفور بلاغات النساء، ص 48.

[4]-المصدر نفسه، ص48.

[5]-المصدر نفسه، ص48.

[6]-المصدر نفسه، ص48.

" حمله خفا وحملته ثقلا"[1] والطباق هنا خفا، ثقلا.

"ووضعه شهوة ووضعته كرها"[2]

"شغلت نفسها علي فراغا هل سمعتم بالفارغ المشغول"[3] الفارغ، المشغول .

"كان ثديي سقاؤه حين يضحى ثم حجري فناؤه بالأصيل"[4] يضحى، الأصيل.

إذا كان السجع والجناس يهتمان بالتحسين اللفظي فالطباق والمقابلة تهتمان بالتحسين المعنوي وفي هذا الغرض ورد الطباق الذي بين أيدينا على لسان طليقة أبي الأسود وعلى لسان زوجها، ففي المثال الأول مثلا جاء الطباق يستفيض في الشرح وإجلاء المعنى فبيّنت الزوجة حال زوجها أثناء كلامه فهو لا يقول إلا شرا ولا يذكر لسانه خيرا أبدا وإن سكت فسكوته يكون تحضيرا لدغائل فهو كالهدوء الذي يسبق العاصفة والداغل الذي يبغي أصحابه الشر فيدغل لهم الشر أي يبغيهم الشر ويحسبونه يريد لهم الخير[5].

ونلاحظ أن زوجة أبي الأسود انطلقت تعدد وتسرد مجموعة من الأوصاف المشينة والتي لاتمت بصلة لحسن الخلق وكريم الطبع، فبادرت إلى مدح نفسها بعد أن أثنت على أمير المؤمنين ومن جالسه من الأشراف والوجهاء، وقالت أنه يمنعها هذا المقام وهي المرأة الحرة أن تردّ على رجل كلامه وتقرع بالحجة كذبه وبهتانه فتدرجت في الحجج واستطاعت أن تلفت الانتباه إليها بواسطة هذا الكلام المنمق، بل إنها استطاعت أن تجعل معاوية يعزم ويلح عليها أن تجيب وترد على كلام مطلقها، فاستجابت له وذاك غرضها المبطّن، فقالت أنها ما رأت منه خيرا قط، فقد كان كثير المسألة، جهولا بصيغة المبالغة للزيادة في الصفة إلى جانب ذلك فقد كان

---

[1]- ابن طيفور بلاغات النساء ، ص 49.

[2]-المصدر نفسه، ص 49.

[3]-المصدر نفسه، ص 49.

[4]-المصدر نفسه، ص 49.

[5]-ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج2، ط1، 2003، ص، 357.

بخيلا وزادت أن قالت أنه لا يتكلم إلا بشر فقد كان فظ اللسان غليظ القلب، زيادة في الذّم، حتى سكوته إن سكت فإنما كان هذا السكوت سكوت الدّواهي الذي يفكر كيف يؤذي بشكل أكبر وأوسع، فهو كالليث الهصور حين تكون له الغلبة وكالثعلب في الجبن، إلى جانب ذلك كله فهو بخيل حين يحضره الضيف فلاتراه يكرم ضيفه بل إنه إن ذكر شيء عن الجود ينقمع ويرتدع ويبتعد، وهكذا كان خلقه في البيت فكيف مع الجيران فهو لايحفظ لهم ذمارا ولايصون لهم دارا، كريم على من يهينه ولئيم على من يكرمه .

فنلاحظ أن هذه الزوجة تدرجت في الحجج من المقنعة إلى الأشد إقّناعا، و من صفاته الشخصية إلى معاملاته الأسرية ثم إلى معاملاته الاجتماعية فأصابت الرجل في مقتل أمام الخليفة ومن حضر معه من الكبراء و الوزراء.

ولما كان الضد يبرز حسنه الضد، فقد ردت على أبي الأسود الدؤلي حين قال انه أول من حمل ابنه وأول من وضعه بأن قالت: صدق فنرى أن هذه العبارة أفحمته وألجمته حين قالت للخليفة أنه حمله خفا ووضعه شهوة بينما عانت هي في حمله فقد كان حملا ثقيلا وضعته كرها، فآلام الوضع من أشد الآلام التي تعتري النساء فشتان بين الحملين وشتان بين الوضعين .

كل هذا التناظر والتناطح الحجاجي بين أبي الأسود وطليقته كان يحدث في حوار وتبادل للأدوار وكأني به الاستلزام الحواري في تأدب وروية كل واحد منهما همه إقناع الحكم والتأثير فيه واستمالته إليه حتى يكون الحكم لصالحه .

وبعد أن ردت المرأة على حجج بعلها السابق حجة حجة عرّجت إلى مواضيع أخرى بغرض إثبات وجهة نظرها وزيادة في البراهين والأسانيد فذكّرت الحضور بأنها من حملت ابنها في بطنها وكان ثديها سقاؤه الذي لاينضب وحجرها الفناء الذي فيه يمرح فكيف يأتي هذا الرجل من لاشيء ليأخذ كل شيء! فما كان

من معاوية إلا أن سلم بالأمر وقال لأبي الأسود الدؤلي قد غلبتك في الكلام فهلا قارعتها بأبيات من الشعر؟ فأنشد لها أبياتا وتمكنت من الرد عليه بأبيات أخرى ما جعل الخليفة يسلم بالأمر لها فأخذت ابنها وارتحلت.

د- المقابلة:

أما المقابلة عند البلاغيين فهي: " أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب والمراد خلاف التقابل"[1].

ومن الأمثلة الواردة في المناظرة رغم قلتها نذكر:

- " إن رأت خيرا كتمته، و إن رأت شرا أذاعته"[2].

- " أكرم الناس عليه من أهانه، وأهونهم عليه من أكرمه"[3].

- " حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه" [4].

وتتجلى المقابلة في المثال الأول من خلال قوله خيرا وشرا وكتمته وأذاعته فقد قابل الخير بالشر و الكتمان بالإيذاع وهذه حال امرأة أبي الأسود .

وفي المثال الثاني قابل أكرم الناس بأهونهم وينطبق ذلك على قول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

[1]-القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب لبنان، بيروت، دط، دت، ص 485.

[2]-ابن طيفور بلاغات النساء، 49.

[3]- المصدر نفسه، ص 49.

[4]-المصدر نفسه، ص 49.

أما في المثال الثالث قابل بين الحمل والوضع من خلال ما سبق يتضح لنا أن المقابلة لم ترد بشكل كبير ومرد ذلك إلى أن المتناظرين كانا يتوخيان الإيجاز وتجنب الإطالة ولما كانا يريدان الإقناع فقد عمدا إلى الجمل البسيطة القصيرة الموفية بالغرض في أبهى حلة.

2 – الصور البيانية :

إن علم البيان حاصله إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، ويرى القزويني (ت682ه) أن " علم البيان علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، ودلالة اللفظ إما على ما وضع له أو على غيره ...وإيراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية، لأن السامع إن كان عالما بوضع الألفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض وإلا لم يكن كل واحد منها دالا و إنما يتأتى بالدلالات العقلية، لجواز أن يكون للشيء لوازم بعضها أوضح من بعض"[1].

ويرى الجرجاني أن علم البيان يبحث في الدلالات العقلية للتراكيب من حيث التذاذ النفس بها، لا من حيث وضوح الدلالة .

و يقول عز الدين إسماعيل:" ومن هنا كانت الصورة دائما غير واقعية وان كانت منتزعة من الواقع، لأن الصورة التركيبية عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع ".[2]

والحجاج والبيان متلازمان في الخطاب الذي يرمي إلى الإقناع، فالبيان إلى جانب جماليته يحرك الوجدان إذا استعمل بقدر، ولهذا نجد أن المتناظران قد اختارا من البيان ما يخدم غرضهما الإقناعي وهدفهما الذي يسعيان إليه وهو استمالة وكسب ود الخليفة والتأثير فيه، ومن جملة الصور البيانية الواردة في هذه المناظرة نجد:

[1]– القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ص246.

[2]– عز الدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت ط2014، ص66.65.

أ-الكناية:

والكناية من ألوان التعبير البلاغي والبياني، والتفنن في إبراز المعنى، وتنميق القول"والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه"[1].

وهي عند المحدثين "كل مافهم من الكلام من السياق من غير أن يذكر اسمه صريحا في العبارة، فهي تستعمل قريبةمن المعنى البلاغي"[2].

والكناية حيثما وردت فهي تؤدي دورا بلاغيا وأسلوبيا وموصلة للمعاني فموحية تارة و موجزة للمعنى تارة أخرى، فتبلغنا معنى الكلام أكثر من التصريح به أحيانا أخرى فتكون بذلك أبلغ وأدق فهي تزيد إثبات المعنى وترسيخه، فالسامع لا يهنأ ولا يقتنع حتى تذكر له الأمر مع الدليل والدعوى مع التعليل وهذه الأمور توفرها الكناية وسنورد هاهنا بعض ما ورد من الكناية :

ـ" كان أبو الأسود الدؤلي من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان وأقربهم مجلسا "[3]وهذا كناية عن مكانة ورفعة أبي الأسود الدؤلي عند الخليفة، فهو من خاصة جلسائه إن حضر يستشار و إن غاب يسأل عنه، وأقربهم مجلسا كناية عن علو الشأن، و سمو المكانة فلا يكاد يقطع أمرا حتى يستشار فيه وهذا كله لعلو شأنه و مقامه.

- " وكان لا ينطق إلا بعقل ولا يتكلم إلا بعد فهم"[4] وهي كناية عن نسبة، حيث صرح فيه بصفة منسوبة لشيء يتعلق بالموصوف وهو العقل و الفهم، فقد كان أبو الأسود يتصف برجاحة العقل وسداد الرأي فهو من

---

[1]- الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 54.

[2]- غريد الشيخ، المتقن في علوم البلاغة، ص 117.

[3]-ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 47.

[4]-المصدر نفسه، ص 47.

أصحاب الرأي والمشورة ولا يقطع في أمر حتى يستشار ويؤخذ برأيه، فهو من علماء عصره وبلغاء زمانه، وإنما أريد لنا أن نعرف مكانته حتى نرى قوة وبلاغة من كان ندا وظهيرا في هذه المواجهة، فإذا كان أبو الأسود بحضوره وهيبته عند الخليفة فكيف بالذي استطاع وتجرأ على مواجهته.

– " إن الله جعلك خليفة في البلاد "، " يستسقى بك المطر " و"يستثبت بك الشجر "، " و يأمن بك الخائف ويردع بك الجانف"[1].

فابتدأت بقولها " إن الله جعلك " كناية على أن الخلافة مستمرة ملازمة لمعاوية، وكناية عن علو مقامه وشأنه فالخلافة لا تفارقه فقرنت اسم الجلالة وجعلته مستندا إليه هذا الجعل، ويستسقى بك المطر ويستثبت بك الشجر كناية عن أن دعاء الخليفة سبب في نزول المطر وأي بركة أجل من هذه البركة فشبهت دعاء معاوية بدعاء عبد المطلب سابقا حينما استسقى ربه فأمده بالمطر و كان قد منع القطر عن قومه من قبل، وكنت بقولها "يستثبت بك الشجر" عن الأمن و الاستقرار و رعايته لأمور الرعية وأحوالهم فيحفظ كرامتهم ويصون حرمتهم و يأخذ الحق لضعيفهم وينتقم ويعاقب المتسلط فيهم، أما قولها يأمن بك الخائف ويردع بك الجانف فكناية عما يتصف به من عدل، و حلم وعطف على الخائفين وقوة وبأس على الظالمين فالظالم المتجبر يكون سببا في انعدام المطر من السماء والسخي المدرار يكون سببا في دوام النعمة وسعة الرزق والبركة .

وقد قصدت رثاء حالها وضيق أحوالها وغياب الحلول لوضعيتها حين قالت : "ضاق عليا فيه المنهج وتفاقم عليّ فيه المخرج " فالتجأت إليك يا أمير المؤمنين لما توسمت فيك من العدل والنظر في مظلمتي من هذا الجبار المتغطرس فقصدت الظلم الواقع عليها، والحالة النفسية التي آلت إليها، فلا مناص من اللجوء إليك وأنت الخليفة العادل، والحاكم الراشد .

– ومن أمثلة الكناية الواردة نجد :

[1]–ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 47.

"قطعت عني حبائلها"[1]كناية على أمر الطلاق الذي لا مناص منه.

" كثيرة الصخب دائمة الذرب"[2]كناية عن حدة الغضب في القول و الفعل حتى في صغائر الأمور فضجيجها يملأ المكان بدون توقف وبدون حاجة إليه، ودائمة الذرب كناية عن فساد اللسان وبذاءته وفحشه.

ومن أمثلة الكناية كذلك "بنوافذ أقرع كل سهامك"كناية عن حججها التي تضرب بها ادعاءاته و افتراءاته .

و من أمثلة الكناية أيضا "إذا ذكر الجود انقمع" كناية عن شدة البخل و الإمساك .

ب–الاستعارة:

تعد الاستعارة من أساليب البيان، ومن أصعب الصور وأخطرها على الإطلاق، ذلك أنها عملية ذهنية تقوم على تقريب الصورة بين موضوعين وذلك من خلال تماثل أحدهما للآخر، وتكتسب الاستعارة زخمها من خلال قدرتها على تقريب المعنى ووقعها الجمالي في ذهن القارئ والمستمع وما تحدثه من غرابة وميلان عن المعروف والمألوف .

ويعد ابن قتيبة (ت279ه) من الأوائل الذين خاضوا في هذا النمط حيث يقول: " فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بسبب من الأخرى، أو مجاورا لها أو مشاكلا؛ فيقولون للنبات نوء، لأنه من النوء عندهم ويقولون للمطر سماء لأنه من السماء يترل ...ويقولون ضحكت الأرض، إذا أنبتت لأنها تبدى عن حسن النبات، وتتفتق عن الزهر، كما يفتر الضاحك عن الثغر ...ويقولون: لقيت من فلان عرق القربة أي شدة ومشقة ...وأصل هذا أن حامل القربة يتعب في نقلها حين يعرق جبينه، فاستعير عرقها في موضع الشدة "[3].

---

[1]–ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 48.

[2]–المصدر نفسه، ص 48.

[3]–ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت 181م، ص 135.

ويقول أبو الحسن علي بن عيسى الرماني:" الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له من أصل اللغة على جهة النقل للإبانة "[1] وقد ناقشه في التعريف فخر الدين الرازي وأبطل تعريفه هذا من أربعة وجوه لا يسع المجال لذكرها هنا.

وعرّفها الرازي بقوله: " الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره، أو إثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه."[2]

والاستعارة عند المحدثين هي " تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه، ووجه شبهه وأداته،[3] وهي قسمان :

- تصريحية: وهي التي يصرح فيها بذكر المشبه به .

- مكنية : وهي ما حذف فيها المشبه به وكنى به بشيء من لوازمه، وهي من الصور القليلة في مدونتنا هذه ويرجع ذلك إلى الغرض العام من السجال والنقاش، فالموضع موضع إقناع واستمالة وهذا يكون بوضوح الرأي وجلاء الفكرة، والاستعارة الغامضة والكثيفة تدفع بالمتلقي إلى الشرود بالذهن والتوقف لتعليل الخطاب وهو ما يتنافى مع هدف الإقناع، لهذا نجد أن الاستعارات قليلة في هذا المقام، ومن أمثلة ذلك :

- " ليث حين يأمن ثعلب حين يخاف"[4].

حيث ذكر المشبه به في المثال الأول والثاني وهما : الليث والثعلب، فليس المقصود هو الليث ولا الثعلب وإنما المقصود هو الرجل، وهو أبو الأسود الدؤلي فحذف المشبه وهو أبو الأسود أو الرجل وصرح بذكر المشبه به وهو الليث في المثال الأول والثعلب في المثال الثاني على سبيل الاستعارة التصريحية.

---

[1]-حسني عبد الجليل، البلاغة العربية، ص 264.

[2]-المرجع نفسه، ص 268.

[3]-غريد الشيخ ،المتقن في علوم البلاغة، ص 31.

[4]- ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 48.

ومن أمثلة ذلك أيضا " تؤلف بك الأهواء" فهي استعارة مكنية حيث حذف المشبه به و هو القلب فالأصل في الكلام أن التأليف يكون بين القلوب، و تركت قرينة تدل على القلب و هي الأهواء، و يبدو أن المرأة أدركت أن التعبير المباشر لا يبلغ الخليفة أحاسيسها القوية المفعمة بالحزن ومرارة الفقد، فأخذت من مشجب البلاغة هذه العبارات التي ولجت فكرها و جرت على لسانها فوظفتها في الاحتجاج و الاستدلال لتحصل غايتها فوضحت المعنى، فنراها وازنت بين قوة الإقناع و براعة الإبداع .

والاستعارة زهيد حضورها ذلك أن الطرفان يسعيان إلى الإقناع بأسلوب مباشر دون الحاجة إلى عجيب الكلام حتى يكون الخطاب ذا منفعة، فالليث لا يؤتمن فهو دائما جائع ومستعد للصيد، وكذا الرجل الذي نتكلم عنه، وهل يؤتمن الجبان-الثعلب- خاصة أنه خائف؟ فهما صفتان متلازمتان في شخص أبي الأسود الذي استحالت الحياة معه، بل تحولت إلى جحيم لا يطاق وهكذا استطاعت المرأة أن تقرب لنا الصورة وتوضحها أكثر و لم نجهد فكرنا لنصل إلى ما كانت ترمي إليه، وقد كانت صور الاستعارة قليلة في هذا السجال .

ج-:التشبيه:

عرفه القدامى منهم الرماني بقوله:"وهو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس"[1].

وعرفه الصّرصري بقوله:" هو إلحاق أدنى الشيئين بأعلاهما في صفة اشتركا في أصلها واختلفا في كيفيتها قوة وضعفا"[2] .

[1]-الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق د.محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ص 74.

[2]-الطوفي الصرصري البغدادي ، الإكسير في علم التفسير، تحقيق د.عبد القادر حسين، مكتبة الأهداب بمصر 1988ص 132.

أما عند المحدثين: فهو أن يعمد القائل إلى المماثلة بين شيئين يشتركان في صفة واحدة لتوضيح هذه الصفة، أو المبالغة في إثباتها.[1]

وقد أشار ابن الأثير إلى فوائد التشبيه وهي : المبالغة والبيان والإيجاز في كتابه " المثل السائر"[2].

إن التشبيه يوضح المعنى ويحسنه بحسب إرادة المتكلم، وهو يقابل ظاهرة بأخرى مميزا بينهما بأمر من الأمور، وهذا التميز يتم في حدود العقل الملم بالأشياء من خلال الحواس، ولقد استعمله البلغاء وجعلوا منه أداة إقناع وتأثير، وهو دلالة على خصوبة الخيال وسعته وعمقه من خلال المقدرة على تمثيل المعاني والتعبير عنها في صور رائعة فهو يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم كان ذلك في المدح أو الذم أو بيان أو إيضاح، والتشبيه أنواع: بليغ و تمثيلي و ضمني و مفصل و مؤكد و مرسل .

ومن أمثلة التشبيه :

_ليث حين يأمن: و هو تشبيه مؤكد-و هو ما حذفت منه أداة التشبيه- مفصل-و هو ما ذكر فيه وجه الشبه- حيث حذفت منه أداة التشبيه و ذكر المشبه و هو (أبو الأسود) و المشبه به و هو الليث و وجه الشبه و هو حين يأمن.

_ ثعلب حين يخاف:و هو تشبيه مؤكد مفصل حيث حذف الأداة و ذكر المشبه (أبو الأسود) و المشبه به الثعلب و وجه الشبه حين يخاف.

_ "بطني وعاؤه"[3]: و هو تشبيه بليغ حيث ذكر المشبه و هو(البطن) و المشبه به و هو (الوعاء) و حذفت الأداة و وجه الشبه .

---

[1]-غريد الشيخ، المتقن في علوم البلاغة، ص 56 .

[2]-ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2 تحقيق: دأحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر، ج2، دط، 1975، ص125

[3]-ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 49.

_" ثديي سقاؤه"[1]: و هو تشبيه بليغ أيضا .

_ حجري فناؤه: تشبيه بليغ .

سلكت المرأة طريق التشبيه في أداء معانيها، و جعلت منه وسيلة للإقناع و التأثير في النفس و ما زاد في جمال تشبيهاتها هو توخيها الإيجاز في ذلك و هو سر من أسرار الحسن، فتراه يصل إليك معناه سريعا لم ينطفئ لمعانه أو تضعف قوته، وهذا دلالة على خصب خيالها و سعته، و تحكمها في تمثيل المعاني و التعبير عنها في صور خلابة و قد عمدت إلى التشبيه لأنه الأقدر على المبالغة سواء في المدح أو الذم أو الإيضاح أو التبيين.

فقدرة المرأة جعلت من الخليفة ينظر إلى داخلها أكثر من خارجها، فتلك التشبيهات عبرت عن واقع اللحظة التي تعيشها المرأة الوحيدة المغلوبة على أمرها.

إن هذه الصور البيانية من خلال استخداماتها دلت على دلالات جديدة متجاوزة بذلك الدلالة التي عرفت بها الكلمة و هي دلالات مجازية غير واقعية تنتمي في جوهرها لعالم الفكرة أكثر من انتمائها لعالم الواقع.

إن البيان و البديع الذي ورد في هذه المناظرة لم يرد بتكّلف أو لأجل تجّمل في الكلام أو زينة في الخطاب، بل إن المعنى و السياق هو من يحثهما على هذا البديع و البيان و اقتضت الضرورة ذلك.

فكل مواضع السجال و الرد على الحجج بحجج أخرى و الرد على الأسئلة كانت كلها مواضع صدقت فيها العاطفة على الخداع.

و هذا يدل على المقدرة اللغوية لطليقة الرجل، و نجاحها في المفردات و العبارات و الإسقاطات التي استعملتها في حجاجها.

[1]– ابن طيفور، بلاغات النساء ، ص 49.

فرغم أن المقام مقام جدال و شكوى و توتر في مجلس الحاكم و امام كبار الوزراء و المستشارين و هو نادي يتلعثم فيه الفرد و يفقد فيه القدرة على الكلام و الحفاظ على ربط الأحداث و بديهة في الرد و سرعة إيجاد الجواب، إلا أنها برعت في هذا الموقف، بل إنها خرجت منتصرة و يعزى ذلك إلى بلاغتها و فطنتها و ذكائها الوقاد، حيث وفقت في المزج بين ظاهر الألفاظ و باطن المعاني، و هذا راجع لبديهتها المتقدة و نفوذ رأيها و صحة عقلها و صفاء معينها.

و كانت صور بيانها مليئة بالرمز مشبعة بالتربية العربية التي رضعت من حليب مروءتها و نهلت من أديم عزتها فكانت ردودها برهان ساطع لجم لسان الرجل و هو الفصيح النبيه فدفعت عن نفسها كل بهتانه و ردت الظلم بحسن بيانها.

فأرانا أمام أدب غض، و خلق رفيع، و كلام يحفظ و يخط بماء الذهب، فلا ينسى، فعسى تنهل منه نساء اليوم و يتعلم منه رجال هذا العصر.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

الحجاج العاطفي

- استعطاف بالمدح و تحميل للمسؤولية الأخلاقية
- حكم عدل بين الحرائر و الأجائر
- ميزان العقل يوازن بين الخصمين
- حجاج بيولوجي بين الذكر و الأنثى

الحجاج العاطفي:

يترع الحجاج العاطفي إلى إثارة انشغالات المتلقي والسيطرة على عواطفه، فتتخذ اللغة من خلال تنوعها الدلالي والانزياحي لتستعمل وسيلة للتأثير والسيطرة على الآخر، والقضاء على حججه وتغييب حضوره ونفي وجوده، فيلجأ المتناظران إلى خطاب يهدفان من خلاله إلى تجييش العواطف واستمالة الحاضرين، سواء كانوا خصوما أو مستمعين فقط، وذلك بغرض حملهم على التسليم و الإذعان.

فهناك من الناس من لا يتغير موقفه بحجج عقلية منطقية، ولكنهم يغيرون مواقفهم إذا شاركتهم مشاعرك فمعرفة ما يحرك الذات التي نخاطبها، يمنحنا قدرة على الإقناع، ولما كان هذا هو القصد هرعت امرأة أبي الأسود الدؤلي وطليقها إلى انتقاء الجمل والعبارات ذات الطبيعة الانفعالية الوجدانية بطريقة مباشرة حينا وغير مباشرة حينا آخر، أو إيحائية في بعض الأحيان، والقصد من ذلك تحريك نفس الخليفة والحاضرين، بخطاب استجداء أو إثارة الخوف أو من خلال التحريض وبث الأسى والغضب، أو إيهام الخليفة بالشفقة أو حتى بخطاب إغراء المتلقي وإغوائه .

فالخطاب العاطفي هاهنا يثير شعورا بالخوف من عدم التوفيق و فقدان الحق لأن امرأة أبي الأسود بصدد تحريض جهة عليا على خصمها .

ولقد استعملت امرأة أبي الأسود خطابا يحوي في ثناياه مجموعة من الحجج العاطفية، بغرض تحريك عواطف المتلقي، وسنعدد من هذه الحجج العاطفية التي تراوحت بين الأخلاق، والدين، والطبيعة البشرية وغيرها ما يلي :

1-استعطاف بالمدح و تحميل للمسؤولية الأخلاقية:

بعد أن عانت هذه المرأة من سوء حالها، وتشتت أمرها، ولم تنجح مساعيها ومساعي غيرها في رأب الصدع الذي ظهر، وبلوغ الأمر مبلغ الفصل الذي ليس بعده وصل بينها وبين زوجها، وعدم قدرتها على مواجهته نظرا لمكانته ومنصبه فهو المقرب من الخليفة وكبير جلسائه، كان لابد على هذه الزوجة أن تلجأ إلى محكمة عليا وسلطة ما بعدها سلطة لاسترداد حقها وأخذه بأي طريقة، فلا مناص من المحاولة رغم علمها بمكانة الخصم عند الحكم، فالمرافعة ضد رجل هو من المقربين للخليفة أمر يحمل الكثير من الوجل و الحذر من سوء المنقلب ولكن رغم ذلك فلا مناص من المحاولة، ولذلك لجأت إلى الخليفة " معاوية" فسلمت عليه وخصته بذلك قائلة : السلام عليكم يا أمير المؤمنين، ثم بادرت إلى مدحه و الثناء عليه بمجموعة من الصفات الجميلة والمزايا الحميدة حتى تجلب الاهتمام وتوقظ فيه العقل والضمير، فهي امرأة بدون نفوذ وبدون جاه وبدون سلطان عكس الخصم الذي " كان من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان وأقربهم مجلسا " فخاطبت المرأة الخليفة قائلة " إن الله جعلك خليفة في البلاد و رقيبا على العباد، يستسقى بك المطر ويستثبت بك الشجر ويأمن بك الخائف ويردع بك الجانف فأنت الخليفة المصطفى والإمام المرتضى" فأرادت بهذا الخطاب أن تثير معاوية داخليا فتجعله ينحاز إليها، فاستعملت الثناء مدخلا لقضاء حاجتها وما جاءت إليه، كما يمكن القول أن هذا الثناء جاء بغرض دفن إخفاقاتها السابقة .

فوصف معاوية بأنه الخليفة في البلاد والرقيب على العباد، يجعله يستشعر عظم المسؤولية من جهة، وتبعث برسالة مفادها أنها تشعر بالظلم وتتجرع الخوف والأسى من جهة أخرى، ومعاوية هو القادر على منح الأمان للخائف ويردع الظالم بزجره ويرجع الحقوق إلى أصحابها، وما حضورها إلى مجلس الخليفة إلا عن علم ودراية بأنه سيمنحها حقها المسلوب، فنلاحظ أن المرأة بذكائها سارعت إلى تحييد الخليفة، ووصفه بأحسن الصفات و

النعوت قبل أن تفصح عن مسألتها، فأعلت شأن الخليفة فجعلت اسم الجلالة مسندا إليه " إن الله جعلك " فعبرت بصيغة المضارع و ما يجعل الصفات المذكورة آنفا متجددة متكررة (يستسقى، يستثبت) وذلك بغرض إلصاق هذه الأفعال بالخليفة ومن ثم الرفع من مكانته والإعلاء من شأنه وعند ذلك تتساوى هي مع الخصم وتكون بذلك قد ربحت جولة من الصراع، فالممدوح يستعجل الإجابة ويخجل من التقصير .

2-حكم عدل بين الحرائر و الأجائر:

لجأت المرأة إلى أمير المؤمنين، مبينة له حالها من ظلم زوجها راجية عنده العدل و الإنصاف، من بعل جائر متسلط وما أبغض الظلم خاصة إذا كانت المرأة الحرة، فلينصفني أمير المؤمنين من الخصم، فمن يحمي هذه الأمة من ظلوم غشوم إلا أمير المؤمنين، و بهذا الخطاب نقلت المرأة مستوى الخلاف من مجرد خلاف زوجي إلى صراع بين الظلم والعدل وبين الجبروت والوداعة ونقلت الفكرة إلى مستوى أعلى فربطت الجور بالرجل وربطت الحرية بالنساء، كل هذا وهي تتكلم بكلام عمومي دون ذكر زوجها الذي كانت المشكلة معه، فكانت توجه النقد بشمولية وكأنما ترافع لأجل المظلومين وتمقت كل المعتدين .

ومن خلال هذا السياق في الكلام أصبح الخليفة كأنه الشخص المسؤول عن وضع حد لهذا الصراع بين الحق والباطل، وأصبح هو من يترتب عليه مسايرة القصة بعد أن استفسر المرأة عن هذا الرجل الذي تصف منه المنكر وفعله المشهر، وهنا نلاحظ أن المرأة استطاعت أن تجعل الخليفة يدير الحوار الذي سيكون بين أبي الأسود وطليقته وذلك بقولها:" فلينصفني أمير المؤمنين "ومن هذا المنطلق تكون البداية لكشف خفايا هذه القصة وفضح ما خفي من صفات سيئة مرتبطة بالزوج الذي رام قهر زوجته وقسرها .

أرادت المرأة أن تظهر أنها فعلا امرأة حرة من خلال عدم ذكر زوجها وكأنها تستر عيبه وتحفظ سره لكن الأمير ألح عليها في الإجابة فردت قائلة :"والله لولا مكان أمير المؤمنين وحضور من حضره من المسلمين

لرددت عليك بوادر كلامك بنوافذ أقرع كل سهامك و إن كان لا يجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بعلا ولا أن تظهر لأحد جهلا " فرد معاوية : عزمت عليك لما أجبته .

لقد كان من شدة غيظها أن ابتدأت بأسلوب القسم، ثم أردفت حديثها كامرأة حرة، فلم تجرح زوجها رغم ظلمه و لم تتعرض لكرامته رغم أنه تجرأ عليها، كل هذا من أجل نيل مكانة لدى الخليفة فيزداد بها إعجابا وكأنها تخاطب قلب الخليفة قبل عقله، وحينها أخد الخليفة دوره في الفصل بين الزوجين المتخاصمين، فنراه يبادر في طرح السؤال ويلح على الطرف الآخر في الإجابة، بل إنه من شدة إعجابه بالمرأة أخذ يمدح بلاغتها وسرعة بديهتها وقدرتها على الرد بحكمة وبيان، فإلى جانب الحكمة والبيان والحجة القوية التي جاءت بها المرأة فقد ألبست هذه الحجج لباس بلاغي أخاذ وقد ساعدها في ذلك أن كلام زوجها يأتي مقدما على كلامها مما جعلها وهي اللبيبة تحيط بكلام زوجها فامتلكت قوة وبيان الرد، وهكذا استطاعت أن ترجح كفة الخليفة إلى صالحها في المنازلة الثانية .

3- ميزان العقل يوازن بين الخصمين :

يزين الخليفة للمرأة كلامها ويغريها بالقول، حاثا الرجل على مواجهة طليقته وهو ما يتجلى في قوله الذي يدفع من خلاله الزوجين للكلام حتى يسمع للطرفين، ومن ثم يقرر الحكم الذي يراه مناسبا غير أن الحقيقة من هذا كله هو إعجابه الشديد بكلام هذه المرأة، فاتخذ من العدالة سببا لإشباع رغبته من بلاغة هذه المدعية، ولقد كانت عبارات معاوية السبب المباشر في تواصل عملية السرد والرفع من حبكة الأحداث ومن هذه العبارات التي قالها الخليفة نجد:

- ومن بعلك هذا الذي تصفين منه المنكر ؟.

- يا أبا الأسود ما تقول هذه المرأة ؟.

– يا أبا الأسود دعها تقل .

– سبحان الله لما تأتين به !.

– إنها قد غلبتك في الكلام، فتكلف لها أبياتا .

فالخليفة كأنه وسيط فيسأل طرفا ويلح على الطرف الآخر في الرد على الخصم، غير أنه يبادر دوما في سؤال أبي الأسود ويترك الجواب لطليقته، ويعطيها وقتا للرد المناسب ويضع الرجل في مجال ضيق ونراه يمتدح المرأة بقوله: سبحان الله لما تأتين به من السجع .

هذا السجال بلغ أشدّه حيث أصبح كل طرف يسعى جهده في تعرية الآخر، وكشف كل عيوبه من جهة وتنزيه نفسه من جهة أخرى، معتمدين في ذلك على خطاب جمالي آسر، خاصة من جانب المرأة التي سيطرت على الموقف حجة وبيانا .

ويؤكد ذلك قول الحكم " لابد لك من محاورتها فاردد عليها قولها "فيعدد أبا الأسود حينذاك مجموعة من الصفات جعلته يفك رباط الزوجية منها، من ذلك أنها كثيرة الصخب، دائمة الذرب، مهينة للأهل، مؤدية للبعل، إن رأت شرا أذاعته، وهي صفات إن صحت كافية للطلاق، غير أن المرأة ترد ردا ملفحا مجلية عن حال الرجل الذي يجهله أصحابه فردت قائلة: " يا أمير المؤمنين، ما علمته إلا سؤلا جهولا، ملحا بخيلا، إن قال فشر قائل، و إن سكت فذو دغائل،...أهونهم عليه من أكرمه".

فنرى أن كلاهما يرمي الآخر بما يسيء ويحط من قدره، ونرى الآخر يرد ويدفع عن نفسه بذكر صاحبه بصفات هي أشد وأخزى، وهنا ظهرت لنا جدلية النفي والإثبات، دون سعي من أحد الطرفين إلى وضع حد لهذه الجدلية عن طريق دعوة الآخر للحوار و الاعتراف بما يجده كل طرف من الآخر، وهذا أدى في الأخير إلى حتمية الطلاق وفي هذه المعركة أيضا تسجل طليقة أبي الأسود نصرا آخر على حساب زوجها وهو ما جعل

الخليفة يمتدح كلامها ويدرك أبا الأسود الدؤلي ضعف موقفه فيستدرك نفسه باستعطاف معاوية قائلا له :"أصلح الله الأمير إنها مطلقة ومن أكثر كلاما من مطلقة".

والملاحظ أن كلام الرجل واتهاماته كانت شمولية فلا نجده يجد صفة تستفرد بها زوجته عن طبائع الناس عكس امرأته التي نراها ردت ردا حازما فجردته من صفات العربي الشهم الأصيل فهو اللئيم البخيل، و البخل أسوء الأخلاق، ولهذا نعتته به، سؤلا جهولا؛ فهو كثير الشك والحيرة و التردد، كما وصفته بالحقير سواء تكلم أو سكت في الأمن أو الخوف، فجعلت كلامه شر وسكوته دغل، وشبهته بالأسد فقط حين يأمن وبالثعلب حين يخاف، ومن صفات الثعلب الخبث والمراوغة وهو مضرب المثل في الجبن، ثم وضعت من عقله حين قالت أنه يكرم من يهينه ويهين من يكرمه، فهو لا يفرق بين من يحسن إليه وبين من يكرمه، و هو لئيم لا يحفظ حق الجيرة ولا يحمي ما يجب حمايته، وإلى جانب ذلك فهو لا يعرف للخير كرامة، وهكذا تجلت للخليفة أبعاد الفضيحة ومراميها واتضح له الخيط الأبيض من الأسود، فيأمر الجميع بالمغادرة والعودة عند العشي ليصدر حكمه .

4-حجاج بيولوجي بين الذكر والأنثى :

بلغت هذه القضية أوجّها ولابد لها من حل، غير أن كلا الطرفين يحاول أن يستعمل ما أتيح له من أسلحة وحجج لترجيح الحكم لصالحه، وهو ما يظهر في المشهد الأخير، حيث عمد أبو الأسود إلى ميدان آخر أراد أن يخوضه لعله يفتك به ما يصبوا إليه وهو حضانة ابنه وأخذه إليه .

وهذا السلاح الجديد هو الطبيعة البيولوجية، و أيهما أحق بأخذ الولد فابتدر الرجل الكلام مذكرا بأنه أول من حمل الولد، وأول من وضعه، وهذا السبق يمنحه حق الحضانة فبدا له أنه قد كسب جولة بهذا الإثبات، غير أن عاطفة الأمومة قد تحركت في وجدان المرأة، فانطلق لسانها تقرع سند بعلها بأسانيد وحجج مسكتة،

فكانت هذه اللحظة الحوارية الملفتة والتي من خلالها يبرز تفوق المرأة مرة أخرى، في نوع آخر من الحجاج، فبعد أن أثبت أحقيته بالولد بقوله: حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه ردت بقولها: أن صدق ولكنها أردفت " حمله خفا وحملته ثقلا، ووضعه شهوة ووضعته كرها، إن بطني لوعاؤه، وإن ثدي لسقاؤه، وإن حجري لفناؤه " فقال معاوية سبحان الله لما تأتين به فردت بينة الرجل ببينات، ودلت على الدليل بدلائل فمايزت بين حمله وحملها ووضعه ووضعها وشتان بين الأمرين؛ أما حمله ووضعه فكان بخفة ويسر وبرغبة و شهوة، عكس المرأة التي كان حملها ثقلا ووضعها كان عسيرا واستطاعت من خلال هذا التمييز أن تذكي شعور الرأفة والرحمة تجاه من عمل ثقلا ووضع كرها فكان إثباتها أقوى من إثبات الرجل فلم نرها تكذب زوجها بل صدقته، أولا وهو فعل ينم عن قوة الشخصية فمايزت بين الحجتين فضمنت لنفسها الانتصار والغلبة.

ومما أسهم في موقفها هو حتمية الاختلاف بين الوظائف البيولوجية للرجل والمرأة فأصبحت هذه الوظائف البيولوجية حتمية ملحة في الحضانة فخرج الحجاج من اللغة إلى الطبيعة البشرية فبدا دور المرأة أكثر تضحية وعليه ربحت المعركة.

فكانت الغلبة للأمومة على الأبوة، لقد نازعت هذه الأخيرة عاطفة الأمومة في حقها فاستعانت الأم بأعلى سلطة ممكنة، متكئة في ذلك على بلاغة اللغة، وقيم أخلاق المجتمع، وحسمت أمرها ببلاغة الحجة، فكانت لها حضانة الولد، وخروجها من عند الخليفة بما جاءت من أجله .

خاتمة

خاتمة

في ختام هذا العمل يمكن أن نخلص إلى أمور عدة منها:

إن هذه المناظرة و القصة ساهمت في تقديم صورة لواقع المرأة و مساهمتها في صناعة الحياة اليومية من خلال مشاركتها في كل تفاصيل الحياة، معتمدة في ذلك على بلاغتها و قدرتها على الجدل بقوة الحجة و حسن البيان فاستطاعت أن تفرض نفسها و مجاراة أهل اللغة في الحجاج و البيان.

و من خلال تطوافنا في هذه المدونة تبين لنا أن الخطاب الحجاجي الوارد فيها لم يرد تكلفا، و لم يكن زخرفا لفظيا متعمدا بل المعنى هو من استدعاه و اقتضاه، و لقد قامت هذه المناظرة على مجموعة من الآليات و الاستراتيجيات تمثلت في العوامل والروابط وأساليب القصر إلى جانب الأساليب البلاغية التي وردت في هذه المناظرة بشكل ملفت ومن الاستراتيجيات أيضا نجد الحجاج العاطفي الذي تجلى لنا من خلال العبارات و الخطاب الذي لمسناه يحرك الوجدان ويلامس القلوب ويثير العواطف قبل العقول ومن خلال لغة الجسد والحضور على مسرح الأحداث من خلال قوله "حتى حاذت معاوية " دلالة على شدة القرب و منه شدة الاستجداء و الاستعطاف و هي كلها أنماط من الحجاج استدعيت في هذا السجال بغرض الإقناع و الاستمالة و التأثير.

و لقد وفقت امرأة أبي الأسود الدؤلي في حجاجها واستطاعت أن تحقق مرادها فخرجت من مجلس الخليفة مزهوة بنفسها تعانق السماء فرحا و تبخر الأرض طربا بنصرها على اكبر الناس بلاغة و بيانا.

لقد تجلت لنا قدرة النثر القوية في عملية الإقناع فنراه هاهنا يوازي الشعر في البيان و قوة التأثير.

و هذا ما يجعلنا نلح على إعادة استقراء نثر بلاغات النساء لدراسة الخصائص البلاغية التي جاءت عفوية و صريحة و هو ما يعلي من صورة المرأة في مجاراتها للرجل، كما فنّد هذا الكتاب تلك النظرة للمرأة على أنها عورة محصّنة بل جعل منها عنصرا محرّكا و منتجا و صاحبة هوية، و هو ما لمسناه من خلال تفوق مؤسسة الأمومة على مؤسسة الأبوة طبيعيا.

الملاحق

تعريف بصاحب الكتاب:

هو أبو الفضل أحمد بن ابي طاهر طيفور المرزوي الأصل، أحد البلغاء، الشعراء، المؤرخين، الرواة، ولد و توفي ببغداد(204، 280ه)، (719، 893م)[1]، من الأدباء الظرفاء، عاصر ابن قتيبة و ابن حنيفة و المبرد، و غيرهم، و يعد من أهل العلم فعد له ابن النديم في الفهرست نحوا من خمسين مصنفا منها "المنثور و المنظوم" و هو في أربعة عشر مجلدا، و الجزء الأول منه موجود في دار الكتب الخديوية المصرية و هو في مجلد يحوي ثلاثة أجزاء:

_الأول بلاغات النساء.

_الثاني في كل قصيدة و رسالة لا يوجد لشيء منها مثل.

_الثالث في فصول مختارة في كل فن كتب بها المتقدمون و المتأخرون .

و قد صنف كتاب " بلاغات النساء و طرائف كلامهن و ملح نوادرهن و أخبار ذوات الرأي منهن و أشعارهن في الجاهلية و صدر الإسلام " في القرن الثالث الهجري .

و أثرى ابن طيفور المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات النفيسة في مجالات عدة فألف في الأدب و تاريخهو الأخبار و النوادر، و التاريخ و غيرها و عدد له "ياقوت" واحدا و خمسين كتابا منها "سرقات الشعراء" و"كتاب المختلف من المؤتلف"و " كتاب سرقات البحتري من أبي تمام" و كتاب "رسالة ابراهيم بن المدبر".

و كتاب "ألقاب الشعراء" و كتاب "تاريخ بغداد"و يتضمن سيرة المأمون، و" النهي عن الشهوات" و " الملك الحكيم الرومي".

[1] د شيماء عبد الرحيم توفيق محمد،الأجوبة المسكتة في نثر بلاغات النساء ل"طيفور الخرساني"دراسة بلاغية، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، القاهرة ، العدد36، يونيو2021م، ص 502.

وهو يومئذ غلام حين ايفع أوهم او كرب فقام عبد المطلب فقال اللهم ساد الخلة و كاشف الكربة انت عالم غير معلم ومسؤل غير مبخل وهذه عبداؤك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم التي اكلت الظلف والخف اللهم وأمطرنا غيثاً مريعاً مغدقاً قالت فما راموا والبيت حتى انفجرت السماء بماءها و كظ الوادي فاسمعهم بثجيجه فسمعت شيخان قريش وجلتها وهي تقول هنيئاً لك أبا البطحاء هنيئاً لك أي عاش بك أهل البطحاء وفي ذلك تقول رقيقة

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالماء جون له سيل فانتشعت به الانعام والشجر
من من الله باليمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر
مبارك الامر يستسقى الغمام به ما في الانام له شبه ولا خطر

﴿ كلام امرأة أبي الاسود الدؤلي ﴾

ابو صالح زكريا بن ابي صالح البلدي قال قال ابو محمد القشيري كان ابو الاسود الدؤلي من اكبر الناس عند معاوية بن ابي سفيان واقربهم مجلساً وكان لا ينطق الا بعقل ولا يتكلم الا بعد فهم فبينا هو ذات يوم جالساً وعنده وجوه قريش واشراف العرب اذ اقبلت امرأة أبي الاسود الدؤلي حتى حاذت معاوية وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ان الله جعلك خليفة في البلاد ورقيباً على العباد يستسقى بك المطر و يستنبت بك الشجر وتؤلف بك الاهواء ويأمن بك الخائف ويردع بك الجانف فانت الخليفة المصطفى والامام المرتضى فاسأل الله لك النعمة في غير تغيير والعافية من غير تغيير لقد الجأني اليك

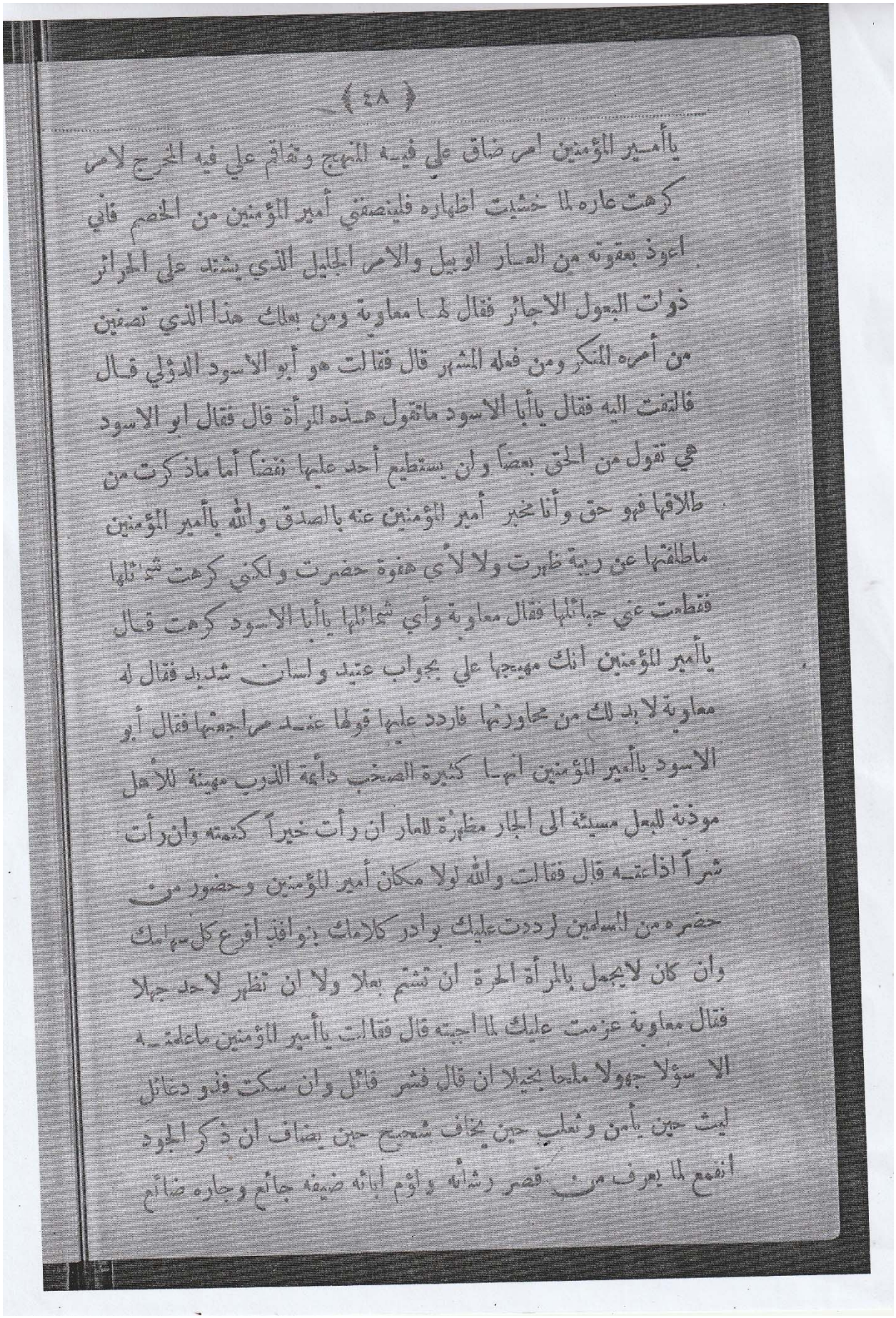

﴿ ٤٨ ﴾

يا أمير المؤمنين امر ضاق علي فيه المنهج وتفاقم علي فيه المخرج لامر كرهت عاره لما خشيت اظهاره فلينصفني أمير المؤمنين من الخصم فاني اعوذ بعقوته من العار الوبيل والامر الجليل الذي يشتد على الحرائر ذوات البعول الاجائر فقال لها معاوية ومن بعلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر ومن فعله المشهر قال فقالت هو أبو الاسود الدؤلي قال فالتفت اليه فقال يا أبا الاسود ماتقول هذه المرأة قال فقال ابو الاسود هي تقول من الحق بعضاً ولن يستطيع أحد عليها نقضاً أما ماذكرت من طلاقها فهو حق وأنا مخبر أمير المؤمنين عنه بالصدق والله يا أمير المؤمنين ماطلقتها عن ريبة ظهرت ولا لأي هفوة حضرت ولكني كرهت شمائلها فقطعت عني حبائلها فقال معاوية وأي شمائلها يا أبا الاسود كرهت قال يا أمير المؤمنين انك مهيجها علي بجواب عنيد ولسان شديد فقال له معاوية لا بد لك من محاورتها فاردد عليها قولها عند مراجعتها فقال أبو الاسود يا أمير المؤمنين انها كثيرة الصخب دائمة الذرب مهينة للأهل موذية للبعل مسيئة الى الجار مظهرة للعار ان رأت خيراً كتمته وان رأت شراً اذاعته قال فقالت والله لولا مكان أمير المؤمنين وحضور من حضره من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك بنوافذ اقرع كل سهامك وان كان لايجمل بالمرأة الحرة ان تشتم بعلا ولا ان تظهر لاحد جهلا فقال معاوية عزمت عليك لما اجبته قال فقالت يا أمير المؤمنين ماعلمته الا سؤلا جهولا ملحاحا بخيلا ان قال فشر قائل وان سكت فذو دغائل ليث حين يأمن وثعلب حين يخاف شحيح حين يضاف ان ذكر الجود اتسع لما يعرف من قصر رشائه ولؤم ابائه ضيفه جائع وجاره ضائع

لايحفظ جاراً ولا يحمي ذماراً ولا يدرك ثاراً أكرم الناس عليه من اهانه واهونهم عليه من أكرمه قال فقال معاوية سبحان الله لما تأتي به هذه المرأة من السجع قال فقال ابو الاسود اصلح الله أمير المؤمنين انها مطلقة ومن اكثر كلاما من مطلقة فقال لها معاوية اذا كان رواحا فتعالي أفصل بينك وبينه بالقضاء قال فلما كان الرواح جاءت ومعها ابنها قد احتضنته فلما رآها ابو الاسود قام اليها لينتزع ابنه منها فقال له معاوية يا أبا الاسود لاتعجل المرأة ان تنطق بحجتها قال ياأمير المؤمنين انا أحق بحمل ابني منها فقال له معاوية يا أبا الاسود دعها تقل فقال ياأمير المؤمنين حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه قال فقالت صدق والله ياأمير المؤمنين حمله خفاً وحملته ثقلاً ووضعه بشهوة ووضعته كرها ان بطني لوعاؤه وان ثديي لسقاؤه وان حجري لفناؤه قال فقال معاوية سبحان الله لما تأتين به فقال ابو الاسود انها تقول الابيات من الشعر فتجيدها قال فقال معاوية انها قد غلبتك في الكلام فتكلف لها أبياتاً لعلك تغلبها قال فأنشأ أبو الاسود يقول

مرحبا بالتي تجور علينا ثم سهلا بالحامل المحمول
اغلقت بابها علي وقالت ان خير النساء ذات البعول
شغلت نفسها علي فراغا هل سمعتم بالفارغ المشغول

قال فاجابته وهي تقول

ايس من قال بالصواب وبالحـ ـق كمن جار عن منار السبيل
كان ثدي سقاءه حين يضحى ثم حجري فناؤه بالاصيل
لست ابغي بواحدي يابن حرب بدلا ماعلمتـــه والخليل

قال فاجابها معاوية

ليس من غذاه حينا صغيراً وسقاه من ثديه بخذول
هي أولى به وأقرب رحما من ابيه بالوحي والتنزيل
ام ماحنت عليه وقامت هي أولى بحمل هذا الضئيل

قال فقضي لها معاوية عليه واحتملت ابنها وانصرفت

﴿ كلام صفية بنت هشام المنقرية ﴾

حدثني ابو الحسن بن الاعرابي الكوفي قال حدثني ابو خالد يزيد بن يحيى الخزاعي عن محمد بن مسلمة عن ابيه قال توفي الاحنف في دار عبد الله بن ابي العصيفير بالكوفة وكان مصعب بن الزبير اذ ذاك اميرا على الكوفة من قبل اخيه عبد الله بن الزبير قال فشيع مصعب بن الزبير جنازة الأحنف فخرج متسلبا في قميص بغير رداء وكانت الامراء تفعل ذلك بالسيد اذا مات قال فلما دفن الاحنف اقبلت صفية بنت هشام المنقرية على نجيب لها منخصرة وكانت بنت عم الاحنف حتى وقفت على قبره فقالت لله درك من مجن في جنن ومدرج في كفن انا لله وإنا اليه راجعون جعل الله سبيل الخير سبيلك ودليل الرشد دليلك أما والذي أسأله أن يفسح لك في مدخلك وأن يبارك لك في محشرك ووالذي كنت من أجله في عدة ومن الكآبة في مسدة ومن الاثرة الى نهابة ومن الضمار الى غاية لقد كنت صحيح الاديم منيع الحريم عظيم السلم فاضل الحلم واري الزناد رفيع العماد وان كنت لمسوداً والى الملوك لموفداً وفي المحافل شريفاً وعلى الارامل عطوفاً وكانت الملوك لقولك مستمعين ولرأيك متبعين ولقد عشت حميداً ودوداً ومت شهيداً فقيداً ثم اقبلت على الناس

قائمة

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

I. المصادر

1- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة، مصر،خ2، دط، 1975.

2- ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، 2005 .

3- ابن طيفور، بلاغات النساء و طرائف كلامهن و ملح نوادرهن و أخبار ذوات الرأي منهن و أشعارهن في الجاهلية صدر الإسلام، مطبعة مدينة والدة عباس الأول، القاهرة، د ط،1908 .

4- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح، السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، دط، 1981.

5- ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 2003.

6- الجاحظ، البيان و التبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط2، 2003.

7- الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

8- الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.

9- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، دط، دت.

10- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المكتبة المصرية، بيروت، ج3، د ط، دت.

11- السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

12- الطوفي الصرصري البغدادي، الإكسير في علم التفسير، تح: عبد القادر حسين ، مكتبة الأهداب، مصر، دط، 1988.

13- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، دت .

14- الماوردي، أدب الدنيا و الدين، شرح و تعليق محمد كريم، داراقرأ، بيروت، ط4، 1985.

II. المراجع :

1- إبراهيم أنيس و آخرون، المعجم الوسيط، ج1، ط2، دت.

2- أبوبكر العزاوي، اللغة و الحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006.

3- الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة و محمد نذير فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1.

4- حسن عباس، حروف المعاني بين الأصالة و الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دط، 2000.

5- حسني عبد الجليل، البلاغة العربية،المعاني و البيان والبديع، دار الصحوة للنشر و التوزيع، 2012.

6- راشد بن محمد بن هاشل الحسيني، البنى الأسلوبية في النص الشعري، دراسة تطبيقية، دار الحكمة، لندن، 2004.

7- سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته و أساليبه ، عن مصنف في الحجاج البلغة الجديدة بيرلمان و تيتكاه، المطابع الجامعية بليون، ج1، 1981.

8- طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي الدار البيضاء، المغرب، ط 1998.

9- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، 2000.

10- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة البنيوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.

11- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007.

12- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

13- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة بيروت، دار العودة بيروت، ط2014.

14- علي الجارم و مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان المعاني و البديع، دار المعارف، لندن، دط، دت.

15- غريد الشيخ، المتقن في علوم البلاغة، المعاني البيان البديع و العروض، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، دط، دت.

16- فيليب بلانشييه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية،سوريا، ط1، 2007.

17- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005.

III. المجلات:

1- الراضي رشيد، الحجاجيات اللسانية عند ديكروو أنسكومبر، العدد1، سبتمبر 2005.

2- شيماء عبد الرحيم توفيق محمد، الأجوبة المسكتة في نثر بلاغات النساء لـ . طيفور الخراساني دراسة بلاغية، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، مصر.

3- هاجر مدقن، آليات تشكيل الخطاب الحجاجي بين نظريات البيان و نظريات البرهان، مجلة، الأثر، الجزائر، العدد05، 2005.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ

مدخل : مقاربة نظرية

توطئة.....07

مفهوم الحجاج لغة و اصطلاحا.....09

أنواع الحجاج.....12

مفهوم السلم الحجاجي و قوانينه.....16

الاستلزام الحواري.....18

الفصل الأول: العوام و الروابط الحجاجية.

العوامل و الروابط الحجاجية.....27

لا...إلا 28

ما...إلا.....28

إذ.....29

إن.....29

الواو.....30

حتى.....32

لولا...ا 32

الفاء.....33

لا.....34

اللام.....35

الفصل الثاني: الحجاج البلاغي

الحجاج البلاغي.....40

المحسنات البديعية.....41

السجع.....41

الجناس.....44

الطباق.....47

المقابلة.....50

الصور البيانية.....51

الكناية 52

الاستعارة.....54

التشبيه.....56

الفصل الثالث: الحجاج العاطفي

الحجاج العاطفي.....62

استعطاف بالمدح و تحميل للمسؤولية الأخلاقية.....63

حكم عدل بين الحرائر و الأجائر.....64

ميزان العقل يوازن بين الخصمين.....65

حجاج بيولوجي بين الذكر و الأنثى.....67

خاتمة 70

الملاحق.....72

قائمة المصادر و المراجع.....78

فهرس الموضوعات

ملخص

الملخص

الملخص:

تناولت هذه الدراسة موضوع موضوع الخطاب الحجاجي في مناظرة أبي الأسود الدؤلي و طليقته و قد جاءت هذه الدراسة مقسّمة إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة، عالجنا في المدخل النظري مفهوم الحجاج و أنواعه و السلم الحجاجي و قوانينه و الاستلزام الحواري و مبادئه، و في الفصل الأول تعرضنا لأهم العوامل و الروابط الحجاجية الواردة في هذه المناظرة، و أما في الفصل الثاني فعالجنا الحجاج البلاغي حيث تطرقنا فيه لجانبي البديع و البيان، أما الفصل الثالث فقد جاء تحت عنوان الحجاج العاطفي و تطرقنا فيه لدور الأساليب اللغوية في التوجيه، بقصد الإقناع، ثم أنهينا بحثنا بخاتمة تبين أهم النتائج التي توصلنا إليها.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، السلم الحجاجي، الاستلزام الحواري، العوامل و الروابط الحجاجية، الحجاج البلاغي.

Abstract:

This study deals with the topic of the argumentative discourse in the debate between Abu-Aswad Al-du'ali and his separated-wife, This study was divided into an introduction, a theoretical introduction three chapters and a conclusion, In the theoretical introduction, we discussed the concept of arguments and their types, the argumentative ladder and its laws, and the dialogue imperative and its principles. In the first chapter, we presented the most important argumentative factors and links mentioned in the debate. In the second chapter, we dealt with the rhetorical argumentation, touching on both literary embellishments and rhetorical expression. The third chapter, titled of emotional arguments, addressed the role of linguistic methods in guidance with the aim of persuasion. This research ends with a conclusion showing the most important findings.

Keywords:Argumentation, argumentative ladder, dialogic imperative, argumentative factors and links, rhetorical argumentation.